

فكرى مكرم عبيد وأسرار سياستة

فاصل



محمد الطويل

محمد الطويل

فكرى مكرم عبيد وأسرار سياسية

الطبعة الأولى

رقم الإيداع ٩٥/٩٦٨٨

الترقيم الدولي 97705693-00-4 I.S.B.N.

جميع حقوق الطبع محفوظة

الناشر

الولاية للنشر والتوزيع

٤ ش أحمد سوكرانو- العجوة ت: ٨٦٤١٥١-٣٤٦٤٧٣٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

فى السىاسة نجوم . وتبقى هذه النجومىة فى عالم السلطة زمن طال
أم قصر ثم تخرج أو تترك أو تنعى أو تعتزل عن هذا العالم إلا أنه
يبقى أو لا لها بصحة أو رصيد أو تاريخ .

ولعل هناك بعض النجوم التى يمكن القول فيها أن زمن سلطانها
قصير إلا أن تأثيرها كان كبيراً . واستطاعت أن تترك خلفها ظلالاً ما
زال الناس يتحسسونها ويسعون فى التنقيب فيها عن حقائق ووقائع
سياسية وتاريخية .

ومن هؤلاء «فكرى مكرم عبيد» الذى فوجئنا به أول أمين عام
للحزب الوطنى الديمقراطى الذى أقامه الرئيس أنور السادات وحينذاك
دارت تساؤلات ولكنها كانت أقرب إلى الهمسات واللمزات حول هذا
التعيين . وفوجئ الجميع بنشاط وحيوية وحماس الرجل والحضور
والتأثير الذى لا يخلو من الإبداع .

ثم عين نائباً لرئيس الوزراء لشئون مجلس الشعب والشورى وهو
أول منصب وزارى له . لم يتدرج قبله كوزير ولكنه عين من القمة
على القمة وبقي عليها حتى خرج من السلطة وكانت قد قاربت
الأربع سنوات فقط ولكنها فترة ثراء من العطاء والحيوية والحركة

السياسية السواعية وقد شارك خلالها فى صنع سياسات وقرارات ووقائع وشاهداً أيضاً على حقائق.

وإن كان شاهداً فى الفترة المشار إليها والتي تدور حول أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات إلا أنه كان أيضاً شاهداً لحقبة تاريخية هامة وخطيرة فيما قبل الثورة. باعتبار أخوته للزعيم الوطنى المرحوم «وليم مكرم عبيد» سكرتير عام حزب الوفد السابق ورئيس حزب الكتلة الوفدية وأحد أعضاء الوفد المصرى إبان ثورة ١٩١٩ والتي نفى فيها خارج مصر من أجل مطالبته بالاستقلال الوطنى وكانت هذه الأخوة والبنوة أيضاً وعاء لشهادته التاريخية على وقائع وحقائق سياسية وتاريخية هامة كان لها تأثير كبير فى تاريخ مصر الوطنى.

وقد ابتعد عن السلطة على ما يزيد عن عشرة أعوام. إلا أننا فوجئنا مرة أخرى بتعيينه عضواً بمجلس الشورى. وقد عاد بحيويته ونشاطه وكأنه لم يبتعد كل هذه السنين عن الأضواء. وكانت المفاجأة الكبرى تعيينه عضواً فى المكتب السياسى للحزب الوطنى الحاكم وهو أعلى سلطة حزبية.

ومن ثم كان لابد من الحوار معه ولقاءه. والتنقيب عنده حول بعض الوقائع والحقائق السياسية والتاريخية سواء كان شاهداً عليها أو أحد صناعها. ولذلك كانت هذه السطور التى لا تحمل إلا القليل وما زال فى جعبته الكثير وقد احترمنا قليله عسى أن يقدر لنا فى مناسبة أخرى المزيد من الكثير لديه.

محمد الطويل



الفصل الأول :

فكرى مكرم عبيد والوفد القديم؟؟

- أسرار علاقة الود الشديدة بين النحاس باشا
ووليم مكرم عبيد.
- درس ولیم مکرم عبيد القرآن الكريم
لمدة ١٩ شهوړ.
- شارك فى وضع الكتاب الأسود مصطفى أمين
وجلال الحماصى.
- ولیم مکرم أدخل فؤاد سراج الدين حزب الوفد
وهو أدخله المعتقل.
- التقى النحاس باشا بالجنرال ستون قبل تولية
الوزارة فى ٤ فبراير.

إذا جاز لأى منا التحدث عن طفولته ونشأته . فإن ذلك غالبا ما يكون عندما نجتاز مرحلة الرجولة بسنوات طويلة . فما بالنا بشخصية سياسية عامة وهامة عندما نتحدث عن طفولتها!! هذا وإذا كنا نتحدث عن نشأتنا . فإن فكرى مكرم عبيد يتحدث عن طفولته ونشأته من مرحلة الصبا ويعتبر هذه النشأة هى الأساس الأول فى حياته وكيانه . وهذه النشأة كانت مع بداية المرحلة الثانوية فى منزل وكنف وتحت رعاية وعناية أخيه الأكبر وليم مكرم عبيد الزعيم الوفدى السياسى الكبير والرجل الثانى فى حزب الأغلبية قبل الثورة . ومن هنا فهو يعتبر طفولته السياسية ونموها يبدأ من هذه المرحلة وفى ذلك المنزل بالقاهرة .

فقد ولد فى قرية الحويعيات بمدينة قنا فى عام ١٩١٦ . وبذلك فهو حتى صدور هذا الكتاب يكون قد أكمل الثامنة والسبعون عاما- أطل الله عمره- وقد بدأ مرحلته التعليمية فى المدارس الحكومية- وهو فخور بذلك- بدءا من مدرسة قنا الابتدائية وكذلك مدرسة الحسينية الابتدائية . ثم وفادته للقاهرة واستكمال المرحلة الابتدائية بمدرسة مصر الجديدة ثم مرحلته الثانوية فى مدرسة فؤاد الأول الثانوية وأخيرا طالبا بكلية الحقوق جامعة القاهرة الذى تخرج منها فى

عام ١٩٣٦ وكان حينذاك عمره لا يتجاوز الواحد والعشرين عاما الا أنه حصل أيضا بعد تخرجه على دبلومات عليا في القانون العام والقانون الخاص والاقتصاد السياسى .

وحيث انه عند تخرجه لم يتجاوز الواحد وعشرين عاما . فانه لم يتمكن من قيد اسمه فى سجل نقابة المحامين . الا أنه كان يعمل لدى أخيه كمحامى تحت التمرين معاونا ومساعد لأخيه . إلى أن بلغ الواحد والعشرين عاما فقيد اسمه فى ابريل عام ١٩٣٧ واستمر يعمل لدى أخيه حتى عام ١٩٥٠ .

ويقول عن هذه الفترة: وكما هو معروف فإن أخى الأكبر وليم مكرم عبيد كان من أبرز وأقدر المحامين في المجال الجنائى . قلما تجود البلاد بمثلهم . الا أنه وجهنى ودفعنى إلى القضايا المدنية والتجارية ولذلك تخصصت فى هذين المجالين . وقد أفادنى بذلك التوجيه لأن أصل القانون هو القانون المدنى . وكما يقول المثل الفرنسى :

«ليس هناك رجل قانون إذا لم يعمل بالقانون المدنى . . الا أنه فى عام ١٩٥٠ قد استقليت عن أخى وفتحت مكتبا للمحاماة لحسابى الخاص إلى أن اختيرت أول أمين عام للحزب الوطنى الديمقراطى ونائبا لرئيس الوزراء لشئون مجلسى الشعب والشورى .

وعن علاقته وتأثره بأخيه الأكبر وليم مكرم عبيد أجاب بتأثر واضح : لقد كان فارق السن بيني وبينه كبير ولذلك كان يعتبرنى ابنه وقد مات دون أن يكون له ولد . وتبعاً لذلك فكان يحببنى ويعاملنى

معاملة الأب لأبنه وليس معاملة أو حب الأخ لأخيه بل وصل الأمر عندما تزوجت فقد أصر على أن أقطن معه نفس منزله حيث كان بقية أهلى فى قنا .

ثم تنهد قليلا وأضاف قائلاً : لقد تأثرت به تأثرا شديدا وكان التفاهم التام يسود علاقتنا . وأظن أنه لم يبح بما فى قلبه ولم يقل بمكنون نفسه لإنسان مثلما فعل ذلك معى . فكانت عواطفه محبة أب وابن وتلميذ وصديق . . . ومستودع أسرار .

وعندئذ وصل إلى مسامعنا رنين الهاتف فقام بالرد على المتحدث الذى انشغل معه دقائق . وفى اثناءها كنت أفكر كيف أستوضحه وهو مستودع أسرار أخيه الأكبر سكرتير عام حزب الوفد . وبماذا سأبدأ . حيثئذ انتهى من حديثه التليفونى وبادرنى بسؤاله : بماذا تريد أن تبدأ؟

فأجبتة بسؤال أيضا : هل نبدأ باستيضاح علاقة النحاس باشا ووليم مكرم عبيد باشا التى كانت مضرب الأمثال فى التاريخ الماضى أم نبدأ بزعيم الوفد الحالى فؤاد سراج الدين باشا أم ماذا ترى؟! .

أجاب على الفور كأنه يتحدث عن بديهية تاريخية فقال : يكفى ان تعرف أساس علاقة النحاس باشا بأخى مكرم ومدى المحبة والود والأخوة الصداقة التى كانت تربطهم ببعض أنه فى عام ١٩٢١ عندما تقرر نفى بعض القيادات الوطنية بأوامر الإنجليزية إلى سيشل هم ستة : سعد زغلول والنحاس وفتح الله بركات وعاطف بركات وسينوت حنا ومكرم عبيد . وهم الذين رفضوا انذارا بريطانيا بالعودة إلى بلادهم

وإذا لم ينفذوا ذلك فلكل يتحمل عواقب رفضه وكان هذا الانذار موجه لستة عشرة شخصية. فعاد عشرة إلى بلادهم ورفض الستة المذكورة أسماءهم. فتقرر نفيهم إلى جزيرة سيشل في المحيط الهندي. وعندما ركبوا سفينة بريطانية إلى عدن تمهيدا لنقلهم إلى سيشل. أصيب مكرم عبيد بمرض الملاريا. وعلى أثر ذلك رفض النحاس باشا استكمال الرحلة وفضل البقاء مع مكرم عبيد للقيام والإشراف على تمريريه لفترة ثلاثة أسابيع حيث انتقل خلالها بقية الوفد المنفى إلى سيشل وقام بتمريريه وحنان ورعاية وقدرة وكأنه والده أو أمه. إلى أن شفى مكرم عبيد والذي كان يشعر دائما بامتنان لهذا الموقف وأنه قد أنقذ حياته. ولذلك فالمحبة والود والصدقة والصفاء قد جمع بينهم حتى تدخل الوشاة وأفسدوا هذه العلاقة المثالية.

ورغم مرارة هذه الذكرى. إلا أنني لمحت ابتسامة في وجه فكرى مكرم عبيد. فنظرت إليه مستفسرا فتحدث وابتسامته تتسع:

وبالطبع لم يكن لهم عمل يشغلهم في المنفى. وكانت ساعات الفراغ كثيرة ولذلك لجأت المجموعة إلى بعض التسلية والترفيه. فكان سعد زغلول يحب الاستماع الى مكرم عبيد وهو يغنى الأغاني القديمة للموسيقار سيد درويش ومحمد عثمان وآخرين حيث كان يتمتع بصوت رخيم. إلا أن ذلك لا يستغرق نصف ساعة في اليوم. فسعى مكرم عبيد الى مزيد من شغل الوقت فعقد اتفاقا أو صفقة مع عاطف بركات ابن أخت سعد زغلول وكان ناظرا (عميدا) لكلية دار العلوم.

وبمقتضاها يقوم مكرم عبيد بتعليم عاطف بركات دروسا انجليزية لأنه كان خريج جامعة أكسفورد بالانجلترا- ومقابل ذلك يقوم عاطف بركات . وهو من خريجي الأزهر- بتجويد القرآن لمكرم عبيد . وهكذا قضوا بعضا من الوقت في تعليم الانجليزية تارة ودراسة القرآن تارة أخرى . دراسة مكرم عبيد للقرآن الكريم لمدة ١٩ شهر زرعت به تأثيرا شديدا لدرجة التقليد وليس الاقتباس وكأن اللفظ يطاوعه وكان خطيبا بارعا . ومقاتل عنيف . إذا أحب قبل وإذا كره قتل . فاما ان يقبل أو يقتل . رجل فاضل ليس به ضعف أخلاقي أو نسائي أو مالي وكان خطيب الجماهير .

وصمت لحظات ثم عاد وتحدث بهدوء قائلا : لقد كان النحاس ومكرم عبيد كالروح في جسدين لا يستطيع أحده أن يفرق بينهما . . .

وعاد لصمته مرة أخرى فاستحثته على الاستمرار فقال :

الى أن فرق بينهما بالفعل . فكيف وقع ذلك وهي حادثة تاريخية وسياسية فريدة بين صديقين وزعيمين في تاريخ مصر؟! .

فأجاب بروية وقال : كنت في المنزل حيث أقطن مع وليم مكرم عبيد وقد سمعته فجأة وهو يصيح بغضب مع متحدث في الهاتف . وبطريقة تكاد تكون هستيرية ووصل إلى مسامعي بعض الكلمات والعبارات :

أنتم بتعملوا أيه؟ أنتم حاتسيئوا للراجل! أنتم حاتخربوا البلد! . أنتم أبعدوا عنه ! أبعدوا عنه .

وبعد ما شعرت انه هداً قليلاً دخلت عليه غرفة مكتبه سألته عن سبب غضبه وصياحة؟ .

فأجاب بصوت مازال الغضب يحمله : شوف ياسيدى صاحبك أحمد الوكيل . يطلب تصاريح استيراد وتصدير ولايدري ان هذا الطلب يسيئ إلى النحاس باشا لأنه نسيبه . وانا قلت له أبعدوا عن الموضوع ده .

ولكنه يرد ويقول : مش أحنا أحق وأولى من اليهود الذين يحققوا ثراء . فقلت له : فليثروا عن غير طريقنا . مالنا وبهم . . ان فخر النحاس باشا أنه فقير . وعندما تضيع هذه المزية سيكون مثله كالآخرين . فانا استأت وغضبت وزعلت منه بعدين صحت فيه كأخ أصغر أوجه له النصيح . وقلت له أبعد عن الراجل حتى لاتسيئ اليه .

ثم يصمت فكرم مكرم عبید لحظات . يستعيد فيها تفاصيل ما حدث . ثم يعود ويستدرك قائلاً : ان أحمد الوكيل هو شقيق زينب هانم الوكيل حرم النحاس باشا . ولم يستكمل تعليمه العالى واكتفى بمؤهل متوسط وعمل موظفا بسيطا فى مجلس النواب .

ثم يعود ويستطرد بقوله : وكان النحاس باشا قد شكل الحكومة فى ٤ فبراير ١٩٤٢ وعين وليم مكرم عبید وزير للمالية كذلك وزيرا للتموين حيث استحدثت هذه الوزارة الجديدة لظروف الحرب العالمية وتأثيرها السلبى على ندرة السلع التموينية الأساسية للجماهير وكان يناط به كوزير تموين اصدار تصاريح الاستيراد والتصدير من أجل

سلع ضرورية للشعب المصري وتصدير سلع مصرية للخارج . وفور تشكيل هذه الوزارة . لجأ صبحى الشوربجى - وهو رجل صناعة - إلى أحمد الوكيل وهمس اليه قائلاً : أنت ساكت ليه ولدينا فرصة لنكسب مئات الآلاف أو الملايين فهناك تجارة بين مصر وفلسطين لبنان وسوريا لحدود لها . وحيث أن جماعة اليهود والمصريين يحصلون على تصاريح استيراد وتصدير فنحن أحق بها .

بهذه الهمسة راقت الفكرة لأحمد الوكيل . واتصل بأخى وطلب منه هذه التصاريح الا أن أخى نهره لمصلحة النحاس باشا وكذلك لمصلحة الحزب . الا أن أحمد الوكيل لم يقبل بالنصيحة وذهب إلى أخته زينب هانم الوكيل حرم النحاس باشا اشتكى اليها ثم تضامن معه بعض المقربين والمستشارين للنحاس والطامعين فى تكوين ثروات وكان أبرزهم أحد كبار رجال القضاء والثانى أحد المستوزرين والذي تولى فيما بعد زارة واشتهر بألف مرحبا والثالث فؤاد سراج الدين وآخرين . وبدأوا يحيكون الدسائس بين مكرم عبيد والنحاس والذي كانت تربطهم صداقة يضرب بها المثل - وأخذوا يلحون على أذن النحاس بصورة مروعة تخرج أى إنسان عن طبيعته السمحة ورددوا على مسامع النحاس ان وليم مكرم عبيد يسعى لأن يجعل رأسه برأسك . ودللوا على ذلك أنه كان هناك عمودان فى الصحف اليومية أحدهما معنون بالرئيس الجليل يعرض مقابلات النحاس باشا واتصالاته والعامود الآخر معنون بالمجاهد الكبير وهو خاص بأخى

يعرض فيه مقابلاته واتصالاته أيضا ويقولون له: هل رأيت من قبل مثل هذا. عامود خاص به يقابله عامود بسكرتير عام الحزب. وكانت الصحافة تقدم العمودان يوميا لتجميل صورة حزب الوفد أمام الجماهير وكان ذلك مطلوبا.

لحظة صمت عاد بعدها وفي صوته تأثر وقال: وأخذوا يرددن عليه أيضا أن وليم مكرم عبيد يحارب نسايبك لأن في قلبه غيرة منك. إلى أن أحدث هذا كله الأثر الذي يسعون إليه. وكأننا بالمثل القائل.

الزن على الودان أمر من السحر.

وكان وليم مكرم عبيد متمسك برأيه ويرى أن هذه التصاريح لها نظم قانونية خاصة وتمنح للشركات الكبيرة التي تتعامل في المواد الغذائية وتحت رقابة وزارة التموين التي يرأسها.

وتحت الضغوط التي حاصرت النحاس باشا. فاتجه الى وليم مكرم عبيد بالاستفسار عن عدم منحه هذه التراخيص لأقارب زوجته فرد عليه قائلا: لأننى حريص عليك جدا وحريص على مصلحتك وسمعتك. فأنت لا تملك رأسمال غير سمعتك ونزاهتك وطهارتك وطنية قلب وطنية. وعندما تنسلخ منك هذه السمعة والنزاهة ستضيع ونحن من وراءك سنضيع أيضا.

وهنا يستطرد فكرى مكرم عبيد قائلا: الا أن النحاس باشا لم يقتنع وتوسع الخلاف. فهناك فريق النحاس ومن حوله يروا أن للوفديين وهم الذين ابتعدوا عن الحكم فترة طويلة لهم الحق فى

استثناءات ومحسوبيات كل الأعوان ووليم مكرم عبيد كانت تسيطر عليه بل تملكه فكرة العدالة والتي يرى بمقتضاها رد الظلم انما لا يرد ظلم بظلم للأخرين . وهذا شئ غير مقبول . الا أن المحيطين بالنجاس نجحوا في توسيع هذا الخلاف بشدة وسعوا الى أبعاد وتنحية وليم مكرم عبيد عن النجاس والحكومة والحزب الذى يمثل لهم المانع والعائق لتحقيق أهدافهم لتحقيق الثروات . ووصل الخلاف بالفعل إلى أقصى مدى حيث طرد وليم مكرم عبيد من الوزارة والحزب وسقوط عضويته البرلمانية هي أول سابقة فى تاريخ مصر النيابى .

يضيف فكرى مكرم عبيد بقوله : وكان لذلك رد فعل عنيف وشديد من وليم مكرم عبيد ردا على كل هذه الاجراءات التى اتخذت ضده فأصدر «الكتاب الأسود» المشهور وقد ساعده فى اعداده من رجال الصحافة الأساتذة مصطفى أمين وعلى أمين وكامل الشناوى وجلال الحمامصى وأحمد قاسم جوده ومن رجال الحكم أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى . وكان كل من الأخوين مصطفى وعلى أمين همزة الوصل بين وليم مكرم عبيد وأحمد حسنين باشا وصدر الكتاب عنيفا فى محتواه وعرضه لبعض الفساد والمحسوبية فى الحكومة الوفدية .

وعلى أثر ذلك اعتقل وليم مكرم عبيد ضمن بعض السياسيين كعباس حلیم وعلى ماهر وطاهر باشا . وبعثوا به إلى سجن فى بلد اسمها السرو فى شمال الدلتا .

ولحظات تأمل ويعود ويتذكر قائلا : ذهبت لزيارته فى هذا

السجن . وجدته فى حالة يرثى لها . وبادرنى بقوله : اننى لم أذق النوم منذ سبعة أيام لأن الناموس كثير وكبير فى حجمه مثل الصراصير .

وعندما شعرت بتدهور صحته . فذهبت من فورى إلى فؤاد سراج الدين وزير الداخلية حينذاك . وقلت له : هل من المعقول ان تفعل ذلك فى مكرم عبيد هل نسيت ما فعله من خير لك . هل نسيت أنه الذى قدمك للوفد وفتح لك أبوابه . فأبدى دهشته ورد بقوله :

وهل تصدق اننى أفعل ذلك لرفعة الباشا . فلا ذنب لى وليس للنحاس باشا ذنب فى هذا . انما هذا بناء على طلب الانجليز . فقلت له : هذا عذر أقبح من ذنب . كنت أفضل أن تقول أنكم تحقدون على هذا الرجل فقررتم حبسه . بدلا من قولك أنكم خضعتم لأوامر الانجليز . بل المفروض ان تعارضوا هذا . لأنكم تعلمون أنه رجل وطنى وانه قد زامل النحاس فى النضال الوطنى فقاطعنى مهدئا وسألنى : على كل حال ماذا تريد؟ فطلبت منه ان ينقل أخى إلى المستشفى . وبالفعل نقل إلى المستشفى الايطالى . وقد رافقه حارسا عليه ضابط الشرطة محمود كامل يس - والذى أصبح فيما بعد نقيب الاشراف - وهو رجل على خلق ممتاز وتعامل مع وليم مكرم عبيد وكأنه ابنه وبالفعل أكرمت اقامة أخى فى المستشفى حيث منح جناحا تستطيع زوجته ان ترافقه به لتقوم برعايته . إلى أن أفرج عنه ودخل

الوزارة مع أحمد ماهر باشا. وعقب خروجه استقبلته الجماهير استقبالا كبيرا وألقي فيهم خطبته الشهيرة الذى بدأها بترديد: اللهم . . اللهم . . اللهم لاشماتته انما هناك عبرة وتذكيره. حيث أقيمت وزارة النحاس وتشكلت وزارة أحمد ماهر.

ويتوقف محدثي لحظات يرتشف فيها بعضا من القهوة. ثم يعود لحديثه وهو يهز رأسه إلى الأمام وكأنه يدفعها للتأمل والتذكر وقال: ولكننى مؤمن ايمانا تام بأن الانجليز لم يأمرؤا باعتقال أخى انما الذين دفعوا النحاس باشا لذلك المحيطين به والذين تأمرؤا على صداقتهم أصحاب المصالح والانتهازيين فمارسوا الضغط على النحاس حتى أمر باعتقاله هذا يعد خطأ كبير من الناحية السياسية والاعتبارات الشخصية.

وفى أثناء انتهائه من الرشفة الأخيرة لفنجان القهوة. فتساءلت قائلاً:

وأما الحكومة أو الوزارة نتي فصل أو طرد منها وليم مكرم عبيد فهى نفس حكومة أو وزارة الوفد فى ٤ فبراير ١٩٤٢ والشهيرة. والتى تعرض من أجلها حزب الوفد قديما وحديثا لهجوم الشديد. حيث أنك كنت أقرب انسان لأخيك مستودع أسرارهِ وشاهد على أحداث كبيرة. فأعتقد انه يمكنك ان تدنى بحقيقة ماوقع من ملابسات وظروف دارت حول أحداث ٤ فبراير ١٩٤٢ التى تولت فيها وزارة

الوفد الحكومة برئاسة النحاس باشا وكان أخيك عضوا فيها حيث
تولى وزارتي المالية والتموين لأول مرة. فماذا عن ذلك الحدث
التاريخي والذي مازالت بعض أسرارہ خافیه؟.

وكان طوال تساؤلى يمسك بسبحته ويتلو عليها ترانيمه الدينية وينظر
لى فاحصا متأملا. ثم تنهد قليلا وألقى برأسه على مسند مقعده
الشرقى بمكتبه- جاء صوته متهدجا وقال:

الواقع أن أحداث ٤ فبراير كتب فيها الكثير وتحدث عنها الكثيرون
ما بين مؤيد ومعارض إنما يجب على الإنسان النظر اليها كمرحلة من
مراحل الأحداث الوطنية التى أصابت البلد فى أواخر الحرب العالمية
الثانية.

واستطرد قائلاً: وفى تلك الأونة أى ظروف الحرب العالمية الثانية
الجارية فقد انقسم رجال السياسة الى فريقين انقساماً شديداً. وبالتالى
كان رأى العام شاهد على هذا الانقسام. ولا يدرى بالضبط ماذا
يفعل والملك فاروق يميل إلى ايطاليا ويحب الايطاليين ويحاط بهم.
فكانت جدة أم والده ايطاليه. وكان يحب الثقافة الإيطالية إلا أن
رجال الحكم متأثرون بوجود الانجليز فى مصر. خاصة أحمد حسنين
باشا رئيس الديوان الملكى واللصيق بالملك فاروق.

ثم استدرك بقوله: الا أن مشاعر الشعب كانت تميل إلى تأييد
المانيا وتحمل الاعجاب للقائد الألمانى روميل. وقد سارت مظاهرات

شعبية فى كثير من بلاد القطر المصرى تشجع هذا القائد وتردد: إلى
الأمام ياروميل وبالطبع كان ذلك يعكس مشاعر الشعب ضد الانجليز،
مشاعر كراهية وان كانت ليست حبا فى الألمان أو هتلر انما تطلعا إلى
ان الألمان يحرروا مصر من الانجليز وتتخلص مصر منهم نهائيا وخاصة
ان الدعاية الألمانية التى تصل إلى مصر كانت تردد ان هتلر يسعى
لإنقاذ مصر من الانجليز وان موسولينى زعيم ايطاليا يجب مصر
والإسلام والمسلمين بل وصل الأمر ان بعث موسولينى بحصان أبيض
إلى بنغازى فى ليبيا تمهيدا لان يدخل مصر على حصان أبيض. بذلك
كانت هناك بابة أحدثت بعض الفوضى حتى اننا لانشعر بوجود
حكومة قابضة على زمام الأمور فى الدولة. وكان فى خضم ذلك
كله يتوقع الانجليز تفوق روميل فى العلمين والتى تبعد عن
الاسكندرية بمسافة ١٤٠ كيلوا متر بل ان طلائع الجيش الألمانى
(الكشافة أو الاستطلاع) قد وصلت إلى منطقة المنكس بالأسكندرية.
وعندئذ شعر الانجليز بأنه اذا ماتقدم روميل إلى الأسكندرية فإن
الشعب سينقلب ضدهم وهذا سيدفعهم ويضطرهم إلى خوض معركة
اضافية إلى معارك أخرى فى عدة جبهات. وبذلك سيخوضون حرب
ضد الرأى العام المصرى والثورة المصرية المتوقعة. وتخلصا من هذا
المأزق فقد خططوا فرار قواتهم إلى فلسطين أو السودان. وكذلك
تدمير الجسور التى تصل شرق وغرب البلاد ببعضها وبالطبع فإن هذا
التكتيك العسكرى غير أخلاقى. الا أنهم كانوا يسعون لتحقيق المثل

القائل : على وعلى أعدائى . لأن هدفهم ليس الاستمرار فى مصر
فحسب . بل صناعة حاجز أو مانع لعدم تقدم قوات المحور إلى
فلسطين والهند درة التاج البريطانى .

ويضيف قائلاً : وفى هذا الجو العام كان الانجليز فى حالة ذعر
حقيقى لأنهم يشعرون ان روميل يمكنه الوصول إلى القاهرة فى
ساعات لأن طلائعه قد وصلت إلى المكس التى تبعد عن الأسكندرية
بخمسة كيلو مترات . وكان الملك فاروق فى حالة خوف من كل هذه
الملايسات والظروف الخائقه والتى لا يستطيع رئيس الوزراء حسين
سرى باشا اسعافه منها لأنه رجل ضعيف انفعالى وكان قريب للملك
عن طريق الصهر لانه زوج خالة الملكة فريدة زوجته . ولذلك كان
يمثل العوبة فى يد الملك .

ورغم الحيرة التى كانت تعترى موقف الانجليز الا أنهم قرروا
التحرك للقبض على زمام الأمور فى مصر ومنع أى ثورة ضدهم
ورفع أى معوقات لمواجهة روميل .

وتناول فكرى مكرم عبيد قليلا من كوب المياه . ثم عام حديثه بثقة
أكثر وقال : وعلى ماسمعت بعد هذا الحادث . فان الانجليز بدأوا
بالاتصال بالنحاس باشا بطريقة غير مباشرة عن طريق أمين عثمان
سمسار السياسة المصرية البريطانية فى ذلك الحين . وكان النحاس باشا
فى خضم هذه الظروف داخل البلاد ولافتقادها النظام والانضباط

والحريات والبرلمان والأحزاب ليس لها فاعلية والحال كما يبدو حينذاك
فى تدهور واضمحلال كامل .

وكان النحاس باشا أثناء ذلك فى أسوان يقضى بها بعض الأيام
فذهب اليه أمين عثمان وسأله رأيه فيما لو ان الانجليز قرروا وأصروا
على عودته للحكم كرئيسا للوزراء .

واستند فكرى مكرم عبيد بشئ من الاسترخاء على مقعده
وأضاف :

والعهدة على الراوي - الله يرحمه - أن النحاس باشا قد التقى
بالجنرال ستون أيضا فى أسوان الذى كان موقعه رئيس البعثة
البريطانية العسكرية فى مصر طبقا لمعاهدة ١٩٣٦ .

وأكد بقول : للحق فإن الذى فهمته من الرواية التى وصلت لى ان
فكرة المظاهرة العسكرية الانجليزية التى وقعت فى ٤ فبراير لم تكن
واردة فى هذا اللقاء انما ماجرى فيه ان الانجليز سيطلبون من الملك
فاروق اجراء انتخابات حرة حتى يمكن لسوفد الفوز بها ويعود على
أثرها الى الحكم لأن الانجليز يسعوا لوجود حكومة قوية تحافظ على
على ظهرهم بالحفاظ على النظام فى البلد وبالتالي يمكنهم مواجهة
المحور على أبواب مصر فى العلمين .

وكما سمعت أيضا ان رد النحاس فحواه أنه يتبع مصلحة بلده فإذا
كانت هذه المصلحة تقتضى تولية الحكم فانه يرحب أو يوافق على
ذلك .

ثم عاد وأكد فكرى مكرم عبيد صحة ماسمعه فقال: ويؤيد هذا ما علمته شخصيا وعاصرته بشخصى. حيث كنت فى تل الأونة متزوج وأقضى شهر العسل مع زوجتى فى أسوان. وقد تركناها عائدين إلى الأقصر فى محافظة قنا والذي كان ينتظر بها وليم مكرم عبيد صديقه النحاس باشا وكنا فى مركب (وابورالبحر) والذي كان مملوك لابراهيم بك عياد والد عضو مجلس الشعب الحالى محمد ابراهيم عياد. وكان معنا على ظهر المركب عدد من مرافقى النحاس منهم الشيخ كامل البنا واسحاق حلمى وحسن كامل سكرتيره الخاص وفؤاد سراج الدين والدكتور ركنى بشاره وكيل مجلس الشيوخ. وقد وصلنا إلى قنا أثناء غروب الشمس وقد ذهبنا إلى منزل أخى وقد وصلنا حوالى الساعة الثامنة مساء وكان ذلك يوم الثالث من فبراير فى اليوم السابق لحادث ٤ فبراير.

ويستطرد محدثى راويا: وكنا فى المنزل مع النحاس باشا وأخى وبعض المرافقين وإذا بالتليفون يبعث رنيناً ليحمل الينا صوت سعيد باشا ذو الفقار كبير الأمناء بالقصر الملكى. ويطلب الحدث مع النحاس الذى رفض الرد عليه وطلب من أخى ان يرد عليه. الا أن أخى ألح على النحاس بأن يقوم بالرد لأنه طلبه هو ولم يطلب أخى الا أن النحاس باشا أصر على عدم الرد. فأشار إليه أخى بأن هذا الرجل كبير أمناء القصر الملكى وإذا كان الملك يسعى للتقرب لحزب الوفد فلامانع ولاداعى للقطيعه فإنه ملك البلاد. الا أن النحاس رفض وأصر على الامتناع مشيراً إلى أنهم جماعة هجاسين ولا فائدة

منهم. فأضطر ولیم مکرم عید بالرد والحديث مع محدثه فى التليفون وقد علم منه ان هناك اجتماع فى الغد دعا إليه الملك الزعماء السياسيين والأحزاب ومطلوب حضور النحاس وولیم مکرم عید لهذا الاجتماع.

وقد علم النحاس بتلك الدعوة فى التو. الا أنه اعترته حيرة أخرى لعدم وجود قطار- فى هذه الليلة- يمر على قنا. الا أن ولیم مکرم عید اتته فكرة واتصل على الفور بمحطة القطار وطلب من المسئولين بها إيقاف قطار السياح العائد من الأقصر متجها للقاهرة لأنه كان يمر على قنا بلا توقف. وبالفعل تم ذلك وركب القطار النحاس وأخى وتركوا وراءهم زينب هانم الوكيل حرم النحاس وفؤاد سراج الدين فى قنا وسافروا حتى وصلوا فى فجر يوم ٤ فبراير.

ويقتررب فكرى مکرم عید من ختام شهادته التى تؤكد صحة ماسمعه قائلا: وبعد يوم سافرت إلى أسيوط وهى بلد زوجتى وذلك لأقضي مع أهلها أيام بعد شهر العسل وبها أقام نادى سبورتنج أسيوط حفلة. فالتقيت فيها بالمرحوم الأمير الای محمد كمال عبدالرحمن ضابط الاتصال بين البعثة العسكرية البريطانية والجيش المصرى. وبادرنى بلهفة قائلا:

ألم تعلم بما حدث فى مصر (القاهرة). فأجبتة مندهشا بالنفي.

فقال: ان الانجليز قد حاصروا سرايا الملك بالأمس وأصروا على أن النحاس باشا يتولى الوزارة. فتساءلت بدهشة: بدون مقدمات.

فأجابني محمد كمال بقوله : لأ . إنما أننى أعلم أن أمين عثمان
والجنرال ستون التقوا بالنحاس باشا فى أسوان .

وهنا يتوقف فكرى مكرم عبيد عن الاستطراد ليقول جملة
اعتراضية :

اننى أروى الرواية على عهدة من قالها رحمه الله ولكنى اعتقد
انها الحقيقة التى لاشك فيها . لأننى أثق فى أخلاقيات ووطنية الأمير
الاي محمد كمال عبدالرحمن .

ثم عاد محدثى إلى الاستطراد قائلاً : ثم علمت بما حدث فى
الاجتماع الذى عقد فى ٤ فبراير بسرايا الملك بحضور الزعماء
السياسيين والأحزاب وقد بدأ الملك فى عرض الأمر عليهم وفحوى
الانذار البريطانى وطلب الانجليز أن يتولى النحاس باشا رئاسة
الوزارة . الا أن النحاس رد على ذلك العرض بضرورة عودة الحياة
الدستورية إلى البلاد واجراء انتخابات حرة وما تسفر عنها من فوز
أحد الأحزاب فعليه ان يتولى الحكم . الا أن أحمد ماهر باشا
وأخرين رفضوا ذلك وطلبوا من الملك تشكيل حكومة ائتلافية من
الأحزاب . الا أن النحاس رفض ذلك المطلب وقال : اننى لا أتعاون
اطلاقاً ولا أتولى الحكم فى حكومة ائتلافية تختلف فى اليوم التالى
لتشكيلها وتنفض ونعود للسيرة الأولى وكأن شئ لم يحدث . انما لا بد
الاحتكام للدستور فالحكم للأغلبية التى تفوز فى الانتخابات الحرة .

وقد دارت المناقشات فى هذا الاجتماع . وأصر النحاس باشا على

رأيه وعندئذ صاح أحمد ماهر موجهها حديثه للنحاس وقال: ان دولتك جاي على رأس الحراب الانجليزية. فغضب النحاس بشدة ورد عليه بعنف:

ان هذا الكلام لا يوجه لى. فانتى منذ ولدت أحارب الانجليز انما ما اقترحه الآن فهو لخدمة بلدى. اننى لم أدعوا لهذا الاجتماع والحكم يجب ان يكون للأغلبية ولن أوافق اطلاقا على حكومة ائتلافية.

وفى ضوء هذا فقد اضطر الملك لقبول اقتراح النحاس باشا فكلفه بتشكيل الوزارة التى تمثل حزب الأغلبية حينذاك.

ثم استدرك فكرى مكرم عبيد قائلاً: الا أن وليم مكرم عبيد أشار لنقطة هامة بقوله: مشى ممكن نقبل الحكومة أو الوزارة بالطريقة التى تمت بها انما لابد أن الجميع يعرف ان ذلك تكليف من الملك وهو السلطة الشرعية فى البلاد. وقد قبلناه لنحافظ على بلدنا من حالة الفوضى وأكد وليم مكرم عبيد قوله بانه لن يقبل هذا التكليف الا إذا تبادلت الحكومة المصرية والسفارة البريطانية خطابين. أحدهما يصدر من الحكومة المصرية فحواه: اننا- كحزب وقد- كلفنا بتشكيل الوزارة بناء على طلب السلطة الشرعية للبلاد وهو الملك فاروق. واننا قد استأنأنا مما حدث يوم ٤ فبراير وانه لايجب قبولنا الحكم فى هذه الظروف وتشكيل الوزارة تحت الضغط العسكرى البريطانى الذى وقع فى اليوم المذكور.

وانتهى وليم مكرم عبيد من كتابة هذا الخطاب. ثم كتب الرد عليه أيضاً والذى من المفترض أنه سيصدر من السفارة البريطانية رد على

الخطاب وجاء فحوى الرد على لسان الانجليز : أننا مقدرين لموقف الحكومة . وان ما وقع كان لاظهار حالة القلق البريطانى على الحالة التى وصلت اليها مصر من فوضى ونحن اذ نعتذر عن هذا ولا نعتبره تدخل فى الشؤون الداخلية لمصر على أى وجه من الوجوه .

وفى النهاية فاننى أثق فى وطنية النحاس وطهارته وكان لا يثق فى أمين عثمان انما كان يستخدمه بصفة ولاءه للانجليز . وكذلك كراهيته للجنرال ستون باعتبار أنه يمثل الاحتلال فى بلده . إنما النحاس كان يتعامل ببراءة ووطنية بل انه رفض الحديث مع سعيد ذو الفقار . ولو كان قد وافق على هذه المظاهرة العسكرية البريطانية فإنه كان الأولى به الترحيب يسعيد ذو الفقار ممثل القصر الملكى يتلفف فى الحديث معه والتودد إليه الا أنه رفض ذلك وما طرحه فى اجتماع الملك من ضرورة عودة الحياة الدستورية وتمسكه بحق الأغلبية فانه على حق .

لحظة صمت . قد عقد ذراعيه على صدره وختم حديثه فى هذا الصدد قائلاً : وهذه هى بعض الحقائق حول حادث ٤ فبراير فيما أذكر وكما عاصرتها شخصياً .

الفصل الثانى:

دور فؤاد سراج الدين فى الوفد القديم

- اقنع الباشا الشباب ان السبيل للسلطة هو استخدام المال كسلاح.
- لماذا دخل فؤاد سراج الدين حزب الوفد ووالده وكيل حزب الشعب.
- كانت حرم النحاس مشوقة للثروة.
- حرم النحاس تبيع خاتم الخطوبة لشراء ٨٠ فدان بواسطة فؤاد سراج.
- جيهان السادات لم تتطلع إلى المال وحماية المرسى كذب.

وفى طريقى إلى فكرى مكرم مكرم عبيد فى موعد لقاء ثانى .
كانت تدور بذهنى تساؤلات عديدة حول ملاحظة قد لمحتها فى لقاءنا
الأول تدور حول فؤاد سراج الدين هذا السياسى العتيق والوفدى
القديم . . الجديد .

فقد ذكر فى اللقاء الأول بعض الاشارات منها اشتراكه فى
الاطاحة بأخيه ولیم مكرم عبيد كذلك اعتقاله . وعندما كان يتحدث
عن أحداث ٤ فبراير ١٩٤٢ حيث كان فى قنا مع زوجته وصحبة
النحاس وأخيه فؤاد سراج الدين وبعض مرافقى النحاس . قد ترك
هذا الأخير زوجته وكذا فؤاد سراج الدين ليسافر للقاهرة لحضور
اجتماع السرايا فى ٤ فبراير وما تردد حول خفايا علاقة فؤاد سراج
الدين بزوجة النحاس باشا .

بل قد لفت نظرى ان انضمام فؤاد سراج الدين لحزب الوفد وهو
من الأغنياء كان على غير المألوف بالنسبة لهذا الحزب الذى اشتهر بأنه
حزب شعبى أو حزب الجلايب الزرقاء اشارة إلى الفلاحين فى ذلك
الوقت . وكيف انطلق فؤاد سراج الدين إلى قمة القيادة الحزبية فى
غضون سنوات قليلة ليصبح وزيرا للداخلية . ومدى تأثيره السياسى
داخل الحزب .

وماذا عن كل هذا وارتباط ذلك بتصريح صحفى أدلى به فكرى
مكرم عبيد فى احدى الصحف العربية ضمن تصريحات أخرى حول
فؤاد سراج الدين فقال: ان فؤاد سراج الدين رجل يتمتع بالذكاء
وسياسته هى سياسة (العمدة) أى سياسة (المصاطب). انما هو مسئول
عن افساد المثل العليا فى السياسة المصرية. فقد كان يلعب دورا كبيرا
من وراء الستار وكان من مصلحته ان يزيح من طريقه هذا الجبل
الضخم- وليم مكرم عبيد- لأنه لم يكن فى استطاعته ان يصل الى
شيء فى ظل وجوده.

يضيف فكرى مكرم عبيد فى تصريحه قائلا: لأن فؤاد سراج
الدين بحكم نشأته كأبن ذوات كان يرى ان القوة تكمن فى المال . .
وان المال يمكن استخدامه فى سبيل السطوة السياسية. فقد استطاع ان
يقنع الناس والشباب ان السبيل الى السلطة وإلى السياسة هو
استخدام سلاح المال. فقبل ان يصل فؤاد سراج الدين إلى منصبه فى
الوفد كان الاقتناع العام ان السياسة والفقر صنوان بمعنى أنه كى تنجح
لابد ان تكون فقيرا لكن فؤاد سراج الدين قال:

لا . . كى تنجح لابد ان تكون غنيا ومن هنا اختلفت نظرة الناس
للسياسة قبل فؤاد . . عنها بعد فؤاد.

وتدور هذه التساؤلات وغيرها ومنها هل ماصرح به فكرى مكرم
عبيد يرتبط بالاستفتاء الذى جرى فى أواخر حكم السادات والذى
بمقتضاه عزل بعض السياسيين لافسادهم الحياة السياسية قبل الثورة كما
جاء بالنص. وكان أبرز الذين طبق عليهم ذلك فؤاد سراج الدين

وابراهيم فرج سكرتير عام حزب الوفد الجديد والمرحوم عبدالفتاح
باشا حسن؟! .

هذا ولما لم ينضم فؤاد سراج الدين لحزب الشعب الذى كان والده
وكيلا له وهو من أحزاب الأقلية التى صنعها القصر الملكى لتأييده؟؟ .
ما أن جلست أمام فكرى مكرم عبيد فى منزله . تجاذبنا حديثا
تمهيدا حول مدار بيننا فى اللقاء الأول . الا وقد طرحنا عليه حيرتى
وتساؤلاتها وطلبت منه الاستيضاح والحقيقة والاجابة .

وبعد لحظات من التأمل واستعادة الذاكرة جاء صوته هادئا وروى
قائلا : فى أواخر عام ١٩٣٥ حيث كنت لازلت طالبا بكلية الحقوق .
الا أننى كنت أتردد على مكتب أخى وذلك لاكتساب خبرة من خلال
المران حتى لو كانت سابقة على التخرج الا انها ستكون مفيدة لاشك
فى ذلك . وفى أثناء ذلك تعارفت على فؤاد سراج الدين الذى كان
يتردد على المكتب لصداقته بالمرحوم الأستاذ حسن الأعور المحامى
والذى يعمل ضمن محامين آخرين بالمكتب وكان فؤاد سراج الدين
يعمل فى تلك الأونة معاون أو مساعد للنياحة على ما أذكر . وفى هذه
الثناء أيضا أبدى فؤاد سراج الدين رغبته إلى حسن الأعور للانضمام
لحزب الوفد وترشيحه لعضوية مجلس النواب فسألناه عن عمره اللازم
لترشيح فأجاب بأن عمره يسمح بذلك .

فقدمناه إلى أخى وكرر له رغبته . فاندesh أخى متساءلا :

كيف يكون ذلك والدك سراج الدين باشا شاهين وكيل حزب

الشعب؟ ١٩. فأجابه بقوله : أبى فى طريقه وأنا فى طريقى . واننى مؤمن بمبادئ الوفد .

فاقتنع أخى بذلك وذهب إلى النحاس باشا يعرض عليه الأمر . فانزعج وردد نفس ما قاله أخى عندما تعارف على فؤاد سراج الدين . الا أن أخى حاول اقناعه فأشار إلى ان فؤاد سراج الدين شاب جيد ولكن النحاس عاد وتساءل : كيف انه ابن عدوى . فعاد أخى لاقناعه وأشار إلى أنه من الضرورى لحزب الوفد ان يرحب بالشباب الجديد والنظيف والذى لم يلوث بعد وليس ذنبه ان والده مع اسماعيل صدقى باشا فى حزب الشعب . وهذا شاب أتوسم فيه الخير كما أن له قيمة كبيرة فى كفر الجرايده وستكون دائرته الانتخابية . وختم محاولات اقناعه مشيرا إلى أنه أيضا لابد من ضم بعض العائلات الكبيرة للحزب كما هو حادث فى حزب الشعب وفى حزب الأحرار الدستوريين برئاسة محمد محمود باشا .

وبعد جدل بين أخى والنحاس وافق الأخير على ترشيح فؤاد سراج الدين فى الانتخابات البرلمانية .

واستدرك محدثى قائلا : الا أنه بعد فوزه وحصوله على عضوية مجلس النواب فوجئنا بطعن فى صحة عضويته من أحد الأعضاء . يستند طعنه على ان فؤاد لم يكن قد بلغ السن القانونية . الا أن فؤاد أتى بشهادة ميلاد مسجل بها ميلاده فى ١٩٠٩ . وعندما سئل فؤاد فى ذلك قال : ان الاسم محمد فؤاد سراج الدين : انما الشهادة التى استند عليها الطاعن فالاسم فيها : فؤاد محمد سراج الدين . وقد تبين ان الشهادة التى تقدم بها غير صحيحة . لأن الشهادة الحقيقية مسجل

بها زواج والده ووالدته فى عام ١٩١٠ . وليس من المعقول ان يكون ولد قبل الزواج . فالصحيح ان يكون الزواج فى ١٩٠٩ وميلاده فى ١٩١٠ .

إلا أن هذه الواقعة قد فأتت واستمرت مسيرة فؤاد باشا .

ثم أضاف فكرى مكرم عبيد بقوله : وإذا كنت قد أجبت لك على أحد أسئلتك بصراحة . فإن ذلك لا يقلل من حبى لفؤاد سراج الدين لأنه شخصية قريبة إلى القلب بغض النظر عن أى خلاف سياسى أو غير سياسى . فهو رجل عمدة . هذه احدى صفات نجاحه كرجل سياسى الذى يحول أى جلسة إلى «مصطبة» وان كان ذلك غير مألوف فى أحزاب الخارج إلا أن هذا الأسلوب يلائم طبيعتنا كمصريين فنحن نحب جلوس المصطبة الخالية من أى تكلف ومن هنا كان أحد أسباب نجاح سراج الدين السياسى .

الا أننى سألته : رغم رفض النحاس باشا المبدئى لضم فؤاد سراج الدين لحزب الوفد ثم موافقته فكيف وصل فؤاد سراج الدين فى غضون سنوات قليلة لأن يكون من قيادات الحزب ووزيرا أيضا وأصبح من المقربين للنحاس باشا هل لذلك كله علاقة بحرم النحاس رينب هانم الوكيل وما دورها فى كل هذا؟؟؟!

على الفور أجاب الرجل على تساؤلات بدأ بالأخيرة فقال : انى أقرر بكل أمانة وصدق أنه ماتردد عن وجود شئ غير سليم بين فؤاد سراج الدين وبين السيدة الفاضلة حرم النحاس كذب فى كذب وافتراء

أقسم بذلك واضع يدي على الانجيل والقرآن والزبور. فلم يكن بينهما سوء اطلاقا أو ما يخجل منه.

ولحظة صمت التقط فيها انفاسه وعاد بصوت هادئ: ان مابينهما مسائل مالية. فهي من عائلة كريمة لها شوق إلى الثراء. وقد التقط ذلك فؤاد فهو رجل ذكي وطموح. وكان يرى ان الطريق العادي لن يحقق له طموحاته بالسرعة المطلوبة. وان ذلك سيستغرق سنوات وسنوات. ولذلك فقد بحث عن نقطة ضعف يستفيد منها. ويحقق بها ما يسعى إليه. وهذه النقطة تمثلت في أن عائلة النحاس باشا فقيرة ويسعوا لأن يكون أثرياء. ومن هنا فقد عرض على زينب هانم شراء (٨٠) فدان مملوكة لرجل الصناعة صبحي الشوريجي وهو نسيبهم أيضا. فأشارت إليه بأنها لا تملك نقود كافية فسألها عن خاتم أو ماتملكه من مصوغات ذهبية. فأجابت بأنها لا تملك غير خاتم الخطوبة الذي منحه لها النحاس باشا عند زواجه منها. فطلب منها بيع الخاتم ويمكن اعتبار ثمنه مقدم قيمة الأرض واما البقية يمكن تسديدها من إيرادات الأرض. وبالفعل تم ذلك فقد باع لها الخاتم وكانت قيمة الـ ٨٠ فدان ٦٤٠٠ جنية. سددت قيمة بيع الخاتم كمقدم ثمن. واما الباقي فقد حصل لها على قرض من البنك العقاري قام بضمانها فيه. ودفعت باقي الثمن. وبذلك تمكنت من سداد قيمة الـ ٨٠ فدان كلها من إيرادات الأرض وكانت تدفعها كأقساط للبنك. هي أرض جيدة في منطقة المرج وهي ذات العزبة الشهيرة التي اعتقل فيها محمد

نجيب رئيس الجمهورية الأسبق ولاشك انها صفقة جيدة قد تمت قبل أحداث ٤ فبراير أى قبل تولى النحاس رئاسة الحكومة .

وعندما التقينا به فى قنا ضمن مرافقى النحاس كان حضوره من أجل اتمام هذه الصفقة . واما موقف النحاس من ذلك أنه لايبالى بمثل هذه الأشياء ويعتبرها من صغائر الأمور . فزوجته قد اشترت أو باعت فلا يهمله من ذلك الكثير . وخاصة أنها سيدة صغيرة تسعى لتأمين حياتها فليكن . . هذا منطق النحاس ولاسيما ان تلك الصفقة تمت وهو خارج الحكم انما هى الوسيلة التى أخذ بها فؤاد سراج الدين لتدفعه إلى المقربين من النحاس باعتبار أنه يقدم خدمات لعائلة النحاس بإخلاص .

وأضاف فكرى مكرم عبيد موضحا بقوله : الحقيقة ان حرم النحاس باشا كانت مشوقه للثروة . وكانت من عائلة كريمة . عائلة الوكيل . وهو من أمجاد القوم ومن أكبر العائلات . وكان والدها المرحوم عبدالواحد الوكيل الذى أصبح فيما بعد باشا . وقد فعل اسماعيل صدقى فيه ما أدى إلى خراب بيته . فكان يملك ١٥٠ فدان . وكان صدقى يتعقب الوفدين ليدفعهم إلى التدهور الاقتصادى والاجتماعى والسياسى طالما أنهم متمسكين بعضوية حزب الوفد . وقد فعل ذلك فى بعضهم حتى أفقرهم كمحمود بك عبدالنبى ومحمود باشا الأتربى وفخرى عبدالنور فى الصعيد . وكل ذلك للضغط عليهم لترك حزب الوفد الانضمام لحزب الشعب . ومن الذين وقعوا فى

ذلك المرحوم عبدالواحد الوكيل حيث كبله بالديون حتى استغرقت أرضه بالدين . ثم يطالبه بدفع هذه الديون وبالطبع فانهم لا يجدوا ما يسددوا به بالتالى يمكن بيع هذه الأراضى فى المزاد الى أن وصل الرجل لحالة الفقر من جراء اجراءات صدقى باشا وهو الرجل الكبير فى بلده . ولكنه الرجل الذى فقد أرضه نتيجة نضاله الوطنى . وبذلك فقد قاست زينب هانم ابنته شظف العيش فى الفترة الأخيرة من حياة والدها الذى رحل بهم إلى منطقة حدائق القبة بالقاهرة فى منزل عادى لم يكن لديهم فيه تليفون .

وعندما تريد الاتصال هاتفيا فتضطر إلى استخدام تليفون البقال . وكانت من جراء هذه الحالة تشعر باستياء .

وأضاف محدثى مدلا على شغفها بتكوين ثروة ما جمع بينها وبينه وزوجته فى أسوان قبيل أحداث ٤ فبراير بأيام . حيث قام النحاس باشا للنوم فترة القيلولة . وتركها مع فكرى مكرم عبيد وزوجته يتجاذبان الحديث فى استراحة الفندق . فى أثناء ذلك قالت لمحدثى : شايف الباشا وأخوك عاملين ايه . يخشوا الوزارة أغنياء ويخرجون فقراء . شوف اسماعيل صدقى وشوف توفيق دوس يدخلوا فقراء ويخرجون اغنياء .

فرد عليها فكرى مكرم عبيد قائلا : يازينب هانم . رفعة الباشا (النحاس) والباشا أخويا (وليم مكرم عبيد) أقوياء . وعندهم من الثروة مالا تقاس باى مال فتساءلت باستنكار : وماهي هذه الثروة !! .

فأجابها بقوله: محبة الناس وموقع النحاس باشا فى البلد والعالم كله.

فردت بلهجة تهكمية: كل هذا . أصرفه من أى بنك!! .

فى هذا يعلق فكرى مكرم عبيد ويقول: وأعتقد ان كتاب مذكرات محمد حسين هيكل باشا به من هذا الايضاح حول شخصية زينب هانم من حيث حبها للمال.

وعلى أى الأحوال فإن لكل منا نقطة ضعف. فهي كانت سيدة جميلة وفاضلة ومخلصة لزوجها وربة بيت ممتازة. إنما فؤاد سراج الدين التقط نقطة الضعف هذه واستغلها ليصل بها إلى ما يحقق طموحاته.

لحظة صمت يرتشف بعضها من المياه. ويعود مستطردا للحديث يقول: وبالفعل نجح فى ذلك. حيث طلبت من النحاس باشا تعيينه فى منصب كبير والنحاس بدوره طلب من أخى تعيين فؤاد وزيرا. الا أن أخى انزعج ورد عليه باستحالة ذلك. واستند إلى ان هناك شخصيات فى الحزب أقدم وأقدر من فؤاد. فماذا عن محمود سليمان غنام وعبد الحميد عبدالحق وأحمد حمزة ويوسف الجندي» وصبرى أبو علم وعبد الفتاح الطويل. فكيف يعينه وزيرا وهؤلاء فى الدرجة الأولى بالحزب وهو فى الدرجة العاشرة. وبعد نقاش وجدل وجدوا حلا وسطا حيث تم تعيينه وكيلا برلمانا لوزارة الزراعة على أساس ان

فؤاد سراج يملك أرضا زراعية كبيرة ولديه خبرة من زراعتها انما ذلك لم يرضي طموح فؤاد لأنه كان يطمع في أكثر من هذا. ولذلك فإن اعتراض أخى على تعيينه وزيرا كان أحد الأسباب التى دفعت به فى المشاركة فى الوقعة بين النحاس وأخى. وكذلك المساهمة فى الإطاحة به من الحزب وطرده من الوزارة وفصله من البرلمان. ولم يدرك أحد أن وليم مكرم عبيد كان حريصا على وحدة وتماسك الحزب ومنع انفراطه من جراء تقديم شخص على آخرين من الصف الأول للحزب لهم حق التقدير قبل فؤاد. الذى كان قد أصبح لصيق بالنحاس يعامله الأخير كأبنة. ومن هنا أثرت حفيفة فؤاد ازاء وليم مكرم عبيد الذى وجدته عائق لتحقيق طموحاته الشخصية سواء كانت حزبية أو سياسية أو مالية. من هنا كان له مصلحة للانضمام الى المجموعة التى تأمرت على ازاحة أخى من موقعه بحزب الوفد والوزارة والبرلمان

وتوقف الرجل لحظات. وهو يتمتم على السبحة بين يديه. ينظر إلى الأفق البعيد. ويبدو عليه شئ من التأثر. الا أننى لم أتركه فى هذا اللحظات كثيرا وسألته بقولى: لعل الحديث عن زينب هانم حرم النحاس يذكرنا بنموذج معاصر لحرم الرئيس السادات السيدة جيهان. ومدى التشابه أو الفرق بينهما من حيث تدخلها فى شئون الحكم بالنسبة لزوج كلاهما. . وهل يمكن ان تكون هناك مقارنة بينهما؟؟! .

وعلى الفور خرج من تأملات صمته وقال: قصارى القول ان الشبه الوحيد أنهن سيدتين فاضلتين وعلى قدر كبير من الجمال.

واستدرك أيضا: لكن السيدة جيهان السادات لم يكن لديها ميول أو اتجاهات مالية اطلاقا. ولماذا؟! فلو أن السادات أراد السرقة والسيدة جيهان فخزائن الأرض مفتوحة. فلماذا يسرقون من مصر؟! ليس هناك مايدعو لذلك.

ثم أضاف قائلا: فى الزمن القديم قبل الثورة كانت المسائل المالية غير محدودة والذي يزيد الثراء كان يمكنه ذلك. ولكن فى العصر الحديث فمن أين يسرق؟!.

لم نسمع ان جيهان السادات عقدت صفقة بيع أو شراء وانما ما سمعته من مصادر كبيرة انها فى الأونة الأخيرة عندما كانت فى الولايات المتحدة لم تستطع تسديد فاتورة الفندق الذى كانت تنزل فيه. فليس لديها مال وفير. ولا أدافع عنها بقدر ما أذكر الحقيقة. كما أنها لم تتدخل فى شئون الحكم كما كانت تتدخل رينب هانم حتى أنه ذات مرة أثناء تشكيل وزارة. كانت ترحب بالدكتور زكى عبدالمتعال رحمه الله فقالت له: أهلا بوزير ماليتى. وهذه واقعة معروفة حينذاك. انما لم تتدخل السيدة جيهان السادات فى تشكيل الوزارة أو التعينات أو الترقيات وكانت منصرفة إلى العمل الاجتماعى وجمعية السوفاء والأمل وليس هناك أى دليل أو شبهة ازاءها. وليس من العدل اتهام أى شخصية فقد سبق وتردد أنها اشترت ثلاثينى سيارة مرسيدس وتبين أنها كانت واردة لبنك ناصر الاجتماعى.

والشيء بالشيء يذكر - كما يرى - كانت هناك أستاذة طب أطفال فى كلية الطب بجامعة عين شمس الذى كان يرأسها د. عبدالعزیز سلیمان . وكان قد صدر لها قرارا من مجلس الكلية بترقيتها . لم يمانع مجلس الجامعة الا أن رئيسها د. عبدالعزیز سلیمان اعترض على اصدار القرار . وكانت هذه الطيبة عضوة فى الحزب الوطنى كما هو الحال بالنسبة لرئيس الجامعة عضوا بالحزب قد تقدمت بشكاوى لكل المسئولين منهم إلى مكتبى . وأشارت إلى أن رئيس الجامعة يعاملها معاملة جائرة . وعندما قرأت الشكاوى طلبت الدكتور عبدالعزیز سلیمان لمقابلتى وجاءني الرجل وذكرت له ان الأستاذة الطيبة قد وزعت شكاوها إلى كل المسئولين حتى وصلت لى احدهما وقلت له انك فى حكم القاضى لطالما مجلس الكلية وافق على ترقيتها وكذلك مجلس الجامعة فلماذا تقف فى سبيلها؟! خاصة أنكم أعضاء بالحزب . فلا أقل انك تجاملها انما - أقل على الأقل لا تظلمها . فتحدث معى واشتكى منها خاصة من هذه الشكاوى التى وزعتها على المسئولين فرجوته ان يتحقق من استحقاقها للترقيه وإذا كان لها حق فلتأخذه . الا أنه عندما أصدر مذكراته فقد تعرض لى بغير خير - الله يسامحه - وقال اننى كنت فى هذا الموضوع أنفذ تعليمات السيدة جيهان السادات وهذا غير حقيقى . فأننى لا أعلم ان هناك معرفة أو صلة بينها وبين هذه الأستاذة انما الأخيرة قد بعثت بشكاوى لرئيس الوزراء ولى بصفتى أمين عام الحزب الوطنى وإلى وزير التعليم ورؤساء الجامعات

ووجدت أنه من واجبي عندما وصلتني شكاواها أن أحقق فيها وأرفع عنها الظلم وأعمل على لم شمل أعضاء الحزب. وللحق فإن السيدة جيهان لم تتحدث معي في هذا الموضوع سواء بأسلوب مباشر وغير مباشر.

وتوقف حديثه عند هذا. الا أنني حاولت ان أحثه على الاستمرار فسألته قائلاً: في الأسابيع الأخيرة قبل وفاة الرئيس السادات فقد كتب الدكتور محمد حلمي مراد مقالين أشار فيهما إلى ان الرئيس السادات يكلف زوجته للقيام بمهمات سياسية خارجية وان هذا التكليف غير دستوري. وان كنت أعلم ان ذلك أغضب الرئيس السادات. فما قولك في هذا.

فأجاب على الفور ويبدو غضبه أيضاً في لهجته وقال: لوصح هذا فإن ذلك لا يعد دستورياً. ولكن لماذا لم يذكر لنا ماهي هذه المهمات الخارجية فألى أين بعث بها! أعتقد أنه من السهل توجيه اتهامات بغير سند. فهل لو جاء لى شخص واتهم الدكتور محمد حلمي مراد بالرشوة فهل يجوز أن أصدقه دون سند حقيقى؟! إنما ماكتبه فهو مجرد قول مرسل أو تخمين وما أسهل ذلك.

وقد حاولت محاصرته في حالة غضبه وسألته: ولكنها حاولت ان يكون لها دور سياسى بدليل عضويتها فى المجلس المحلى لمحافظة المنوفية ثم رئاستها لذلك المجلس!.

وقد أجاب أيضا وهو فى حالته هذه انما لم يفقد المنطق والحجة والشجاعة فى حديثه فقال: شوف لو عايز رأيى. فإن الأمر ينقسم إلى جانبين. أولهما أن ذلك حق كل مواطن. إنما الجانب الآخر وهو شخصي فإتنى لم أكن مرتاح لهذا لأن دخول السيدة جيهان بوقارها واحترامها فى معترك سياسى ولو كان محليا يمكن ان يعرضها لخرج أو رزاز سياسى. إنما ذلك أيضا لا يقدح فى سلامة تصرفاتها العامة ولا فى نزاهتها ولا فى اخلاصها لبلدها وخدمتها من خلال عضويتها أو رئاستها للمجلس المحلى. وإن كان ذلك قد اختلف فيه رأى.

الا أنه عاد وأكد رأيه الشخصى فى وجود المرأة فى العمل العام وقال: اننى «دقة قديمه» وعندما تحدثت فى مجلس الشورى وطالبت ببقاء السيدات فى بيوتهن فلم أخرج عن الجدة. ولم أكن ضد السيدات العاملات بل ان بعضهن من ذوي العناصر الجيدة وإنما أقصد أنهن يتركوا المجال لعمل الشباب الذى يسعى لفرصه. كما اننى أفضل وظيفة الأم والزوجة للمرأة فالأمومة وظيفه كبيرة جدا تؤجر عليها فى الشرع والقانون.

ومازلت فى الحديث عن السيدة جيهان السادات فقلت له: ولكن ألا ترى أيضا انها قد شاركت أو ساهمت فى تطور برلمانى منذ سنوات عندما صدر تعديل فى قانون الانتخابات يحدد ثلاثة وثلاثين مقعداً للمرأة فى كافة المحافظات ثم عدل عن ذلك فيما بعد لمخالفة الدستورية وبذلك كان لها تأثير على الرئيس السادات ولاسيما ان هذا

التعديل صدر بقرار جمهورى بقانون وليس بقانون من مجلس الشعب حيث أنه كانت تجرى أبحاث انتخابات برلمانية؟؟.

بعد تنهيدة قصيرة أجاب بقوله: ان السيدة جيهان السادات قد باركت هذا التعديل فى القانون. ولكنها تركت المبادأة لبعض السيدات الفضليات كالديكتورة سهير القلماوى والديكتورة أمال عثمان. وكانت تسعى لأن يكون لها دور ريادى مؤثر بالنسبة لتطوير أو تعديل أو تقديم وضع المرأة فى المجتمع وبذلك يكون لها ريادة كريادة السيدة هدى شعرواى. وكانت بذلك تحاول دفع المرأة إلى المشاركة فى العمل السياسى. وذلك بانتخابها فى البرلمان وحصولها على مقاعد مناسبة. إلا أن الواقع ان السيدة التى تخوض ذلك فانها تخوضه بصعوبة شديدة. وكانت محاولتها تبدأ من اقناع الرجال بذلك. الا أن الكثيرين منهم- وقد أتهم واننى منهم- وان كنت ليس ضد عمل المرأة انما أرى ان درها العظيم فى كونها أم وزوجه. وهذا دور عظيم. لارلت أصر على رأى بأن دور الزوجه أقوى من كونها طيبة أو محامية أو مهندسة. انما التعديل الذى جرى بتحديد دوائر محددة لانتخاب المرأة. كان مقيدا للجماهير وهي مضطره لانتخابهن فى هذه الدوائر والمفاضلة بينهن أيضا فى الدائرة الواحدة وكانت السيدة جيهان مقتنعة بأن على المرأة دور فى المشاركة الوطنية الممثل فى الدور السياسى. لاشك انها كانت مؤثرة فى ذلك. ولعلها الحالة الوحيدة التى أثرت فيها على الرئيس السادات وأقنعتة بهذا فأصدر القرار بتعديل ومع ذلك فإذا لم يقتنع فإنه ما كان يصدر هذا القرار.

فقلت له : اذن فهل صحيح ان تعديل قانون الأحوال الشخصية الذي صدر أيضا في أواخر حكم السادات كان قانون جيهان كما تردد ذلك؟؟ .

أجاب وقد تجاهل تسمية القانسون وقال : ان هذا التعديل له ماله وعليه ما عليه . انما قد جعل للمرأة مكانة متميزة . وان خالف كثير من المذاهب وطرحها وأخذ بمذهب الأقلية . فالجمهور من الفقهاء ضد هذا القانون وهذا لايعنى أنه مخالف للشرعية الإسلامية . لأن فيه أراء محترمة جدا وان أخذ برأى الأقلية فإن ذلك لايعيبه طالما أنه يسعى لاصلاح معين وتأخذ برأى الأقلية من أجل هذا الإصلاح في ظروف معينه وطالما انه غير مخالف لجوهر الشريعة الإسلامية . ولهذا فلا يمكن ان يهاجم القانون على اطلاقه أو يدافع عنه اطلاقا أيضا . انما لوحظ ان به مسائل مبالغ فيها . وعلى كل هناك الآن استقرار في أحكام القضاء حيث تصدر عقلانية وليست انفعالية من باب الاجتهاد .



الفصل الثالث:

فكرى مكرم عبيد وبدايات مشواره السياسى

- فكرى مكرم عبيد من مؤسسى اللجنة التنفيذية العليا للطلبة عام ١٩٣٥.
- أنور السادات يرفض الشيكولاته لحساسيته الشديدة لكرامته.
- عرفت أنور السادات أثناء محاكمته فى عام ١٩٤٢.
- أيدنى وشجعنى الإخوان المسلمين فى انتخابات ١٩٥٨ ولكنهم قالوا اننى شيوعى.
- لماذا اختارنى السادات أول أمين عام للحزب الحاكم.
- لماذا وافق السادات على عودة حزب الوفد.

لا شك ان رجل مثل فكرى مكرم عبيد قد نشأ فى بيئة على مستوى القمة الحزبية والسياسية مع أخيه الأكبر وليم مكرم عبيد. وقد تأثر به فكرا وسلوكا ووجدانا. ان كان طوال ملازمته له سنوات طويلة أصبح شاهدا على أحداث ووقائع تاريخية كبرى.

اذن فالتساؤلات التى تدور حول نشأته ووجوده فى هذه البيئة السياسية يمكن ان تكون كالاتى: هل انضم لحزب الوفد الذى كان أخيه رجله الثانى؟ هل تأثره به دفعه إلى ممارسة النضال الوطنى والعمل السياسى أثناء الاحتلال الانجليزى لمصر قبل الثورة؟. وهل استمر فى العمل السياسى بعدها ولماذا توقف حتى اختيار أول أمين عام للحزب الوطنى الديمقراطى الذى أسسه السادات؟.

وهل كان على علاقة أو صداقة بالرئيس السادات وماذا عن تأثير الأخير عليه فى مشواره السياسى؟!.

قد طرحت عليه هذه التساؤلات. وبدأت عليه على الفور سمات البهجة وكأننى أيقظت فيه مشاعر جميلة. فاقرب برأسه للأمام وقال بصوت باسم: كانت التيارات السياسية الرئيسية فى الجامعة اما ان تكون وفدى أو من الأحرار الدستوريين أو الشيوعية. واننى كنت بطبيعة الحال انتمى للوفد دون أن أكون عضوا فيه. وان كنت لم

أتمكن من ممارسة العمل السياسى بطريقة كبيرة واضحة الا أنني كنت عضوا فى اللجنة التنفيذية العليا للطلبة فى عام ١٩٣٥ والتى كانت لها دور فى الحركة الوطنية العظيمة فى ذلك الوقت .

فقد قمنا - بعض الطلبة- بتأسيس هذه اللجنة . تضم ممثلين من الكليات الجامعية المختلفة ومنهم : الشيخ محمد حسن الباقورى عن كلية أصول الدين ومن الطب الدكتور نور الدين طراف وحنّا مرقص ورشوا فهمى ومن كلية الهندسة جلال الدين الحمامصي ومحمود يونس ومن كلية العلوم محمود لاشين وعن دار العلوم محمود الشافعي ومن كلية الزراعة أحمد الدمرداشى التوني وعبدالسلام حسن وكانت ملحقة باللجنة العليا لجنة خاصة بالمدارس الثانوية من ضمن أعضائها جمال عبدالناصر . حتى انني عندما التقيت به بعد قيام الثورة وكان رئيسا للوزراء ولم يكن بعد رئيسا للجمهورية قد بادرني قائلا : أنت مش فاكرنى . فقلت له : أسف فالحقيقه لا أذكرك . فقال : كنت وفريد زعلوك وابراهيم بغارى ممثلين عن كلية الحقوق . وكنا نجتمع فى النادى السعدى وكنت ممثلا لمدرسة النهضة الثانوية الأهلية بالعباسية . . وتذكرته على الفور وقد واكب تأسيس هذه اللجنة العليا اختلاف شديد بين الأحزاب والسياسيين قبل مفاوضات معاهدة ١٩٣٦ . وكان الخلاف حول ما إذا كان الدستور يسبق الاستقلال أم ان الاستقلال يسبق الدستور؟ .

فكان الوفد يرى ان الدستور لابد ان يعود . المقصود دستور عام

١٩٢٣ حيث كان المطبق فى حينه دستور صدقى باشا الذى مسخ البرلمان.

واما المعارضين فكانوا يروا اننا ليس لنا كيان ويمكن بعد الاستقلال ان يعود الدستور. كان ذلك ابان رئاسة توفيق نسيم باشا للوزارة.

أثناء هذه المناقشات الساخنة. أطلق وزير خارجية انجلترا السيد هور تصريحاً فى البرلمان البريطانى قال فيه: ان مصر لا تستحق استقلال ولا دستور ولا بد من بقاء الاحتلال عشرة سنوات أخرى حتى تكون فى مصر كوادر تستطيع ان تقوم بالحكم الدستورى.

وعلى الفور أطلق هذا التصريح ثورة غاضبة فى مصر. وخاصة بين الطلبة وخرجت المظاهرات تردد شعار: يسقط هور ابن الثور «وكان ذلك فى ١٣ نوفمبر عام ١٩٣٥ وكان يعتبر عيد الجهاد عند المصريين لأنه ذات اليوم الذى تولى الوفد برئاسة سعد زغلول فى عام ١٩١٩ الثورة ضد الانجليز.

ويستطرد محدثى بقوله: وقد خرج جميع الطلبة حتى انه لم يكن بالجامعة طالب واحد كذلك المدارس الثانوية. واتجهنا إلى بيت الأمة- منزل سعد زغلول عن طريق كوبرى عباس. الا أننا فوجئنا بمواجهة رصاص من الكونستابلات الانجليز. وقد وصلنا إلى نهاية الكوبرى. وكأنى أشعر أن كل الرصاصات موجهة لى شخصياً فعدت راكضاً- ولا أنجبل من ذلك- ثم قمت بالجرى إلى إن وصلت منتصف الكوبرى لاهثاً وكدت أفقد قدرتى على الاستمرار وفى هذه اللحظة

كان أصدقائي جلال الدين الحمامصي وفريد زغلول ومحمود راغب في سيارة صغيرة ماركة أوستني سيفن قد شاهدوني ونادوني فركبت معهم ودارت السيارة نحو الجيزة.

وأضاف قائلاً: وكانت لهذه اللجنة نشاط كبير وكل ما تقرره كان محل ترحيب وطاعة من الطلبة. فعندما تقرر اللجنة إضراب الطلبة في يوم معين يلتزم الطلبة بذلك. وعندما تقرر منع الإضراب في يوم محدد فالطلبة تلتزم أيضاً بقرارها. وكانت قراراتها ملزمة على مستوى طلبة الجامعات والمدارس الثانوية. وأما عن مناقشاتها فكانت جادة وعلى مستوى عال. فقد طرح بها قضية الخلاف الحزبي عن أيهما أسبق هل الدستور أم الاستقلال. كانت مناقشاتها ساخنة ووطنية وممتازة وتحذوها محبة مصر ويدرك كل منا أن قصد كل عضو هو خير مصر.

ألا أن فكري مكرم عبيد قد توقف لحظات تأمل ثم عاد وقد تذكر حلقة من مشوار نضاله السياسي. فقال: وكنت وفريد زغلول والدكتورة سهير القلماوي قد أصدرنا مجلة اسمها «الشعلة». فقد بحثنا عن مجلة حيث كان لابد من وجود رخصة به فوجدنا مجلة ملك توفيق حبيب وكان مشهوراً باسم «الصحفي العجوز» فاشترينا منه الترخيص بثلاثين جنيهاً واشتركتنا في تمويلها الذي وصل إلى ٦٠٠ جنيهاً. وكنا لانملك هذا المبلغ فاقترضناه من البنك. وكانت المجلة قد غيرنا اسمها من فرعون إلى الشعلة وقد اختار هذا الاسم

الأخير السيدة سوزان حرم الدكتور طه حسين وقد حرر فيها أسماء
لامعه كالدكتور محمد حسنين مخلوف والدكتور رياض شمس
والمرحوم محمد سليمان غنام. واستمرت المجلة فى الصدور حتى
أفلسنا وضاعت علينا الفلوس وأضطررنا إلى سداد أقساط البنك لعدة
شهور.

وعندما توقف ضاحكا من ذكرياته هذه وحالة الأفلاس التى
أصابته أصدقاءه سألته عما اذا كان قد تعارف على السادات فى تلك
الأونة خاصة ان عبدالناصر كان عضوا فى اللجنة التنفيذية العليا وان
كنت أعرف ان علاقتهم قد بدأت قبل الثورة انما تحذيد ذلك كان يجب
ان يذكره لتعرف على مسيرة مشواره السياسى منذ تعارف عليه.

فأجاب و مازال يضحك بهدوء: عندما تعرفت عليه فى مدرسة
فؤاد الأول الثانوية. تصورت أنه صعيدى مثلى. عندما سألته ذلك
أجاب بأنه ليس صعيدى وإنما من بلد فى المنوفية اسمها ميت أبو
الكوم ومن يومها رسخ فى ذهنى اسم بلده.

ثم استطرد وبلهجة الأعجاب قال: لقد تزامننا فى فريق الكشفة
بالمدرسة وكنت رئيسا للفريق. وكان يبدو شديد الاعتزاز بنفسه
ويحترم ذاته جدا. وان كان من عائلة فقيرة الا ان ذلك كان من
دواعى فخره فليس هناك عيب فى الفقر كما أشار لذلك محمد
حسين هيكى فى كتاب له من حيث ان والدته سودانية ووالده فقير.
انما كان ذلك فخره وفخرنا جميعا - يعتز بكرامته بشدة. يرتدى بدلة

واحدة كل يوم ولا يغيرها انما كانت مهندمة ونظيفة وكنت اندهش لذلك ورغم أنه كان صبي صغير انما حريص على هندامه نظافة ملابسه بصورة تلفت الأنظار.

وكان وطنيا متحسما. جاد لا يميل إلى التهريج واللعب كما يهوى أقرانه في هذه السن المبكرة. كان يزاملنا أيضا المهندس سيد مرعى وان كنت أكبر من السادات بعامين وبذلك فأننى أسبقه فى الدراسة كذلك عامين. ولديه الأنفة والاعتزاز بالنفس والكبرياء. حتى لاحظت أنه يعرض ولا يأخذ قطعة شيكولاته من أى زميل له وكانت الشيكولاته فرايز «الانجليزية ممتازة وثمانها قرش فقط. فسألته لماذا لا تأخذ منها عندما يدعك أحد الزملاء لذلك. فهل لاتحبها فأجاب بالعكس فأننى أحبها فأندهشت وسألته: اذن لماذا لاتحصل على قطعة وتعرض عنها؟.

فأجابنى بأنه لا يستطيع ذلك لأنه لا يملك ردها أورد ما يقابلها من حلوى أخرى... ولهذه الدرجة كان لديه حساسية شديدة لكرامته. قد بدأت علاقتى به كزميل دراسة فى تلك الأونة. وقد تركت المدرسة عام ١٩٣٢ لكن بعد مرور عشرة سنوات التقيت به داخل قفص الاتهام وانا خارجه بقاعة المحكمة فى عام ١٩٤٢ وكان لقاءنا حار لشوق هذه السنوات. وكان أخى وليم مكرم عبيد موكل عن زميله المتهم سعيد توفيق أخو حسين توفيق والذى صدر ضده الحكم ثم توفى. وكان ضمن المتهمين أيضا محمد ابراهيم كامل وزير الخارجية

فيما بعد وكذلك ابن المرحوم على جيشه وابن المرحوم على مراد وكانوا أقارب ومعهم السادات . وكان ذلك في قضية اغتيال أمين عثمان . والعنصر المخطط والمدير هو أنور السادات وأما المنفذ فكان سعيد توفيق . وكنت في أغلب الأحوال أحضر الجلسات نيابة عن أخى في استجواب الشهود والأقوال التي أدليت للنيابة العامة وأما في المرافعة فقد حرص أخى على حضورها والتحدث فيها .

وعندما استجوبناه أثناء المحاكمة تحدث عن نفسه بصورة رائعة . فلم ينكر التهمة بطريقة مباشرة . إنما كان يناقش أقوال الشهود دوندونا لتطرق لانكار الواقعة ذاتها . وكانت هذه من علامات اعتزازه بكرامته وبنفسه . كانت محاكمة قوية ومحترمة جدا وحازت إعجاب وتعاطف الرأى العام . واعتقل في معتقل الزيتون ثم في المنيا وكان معه جلال الدين الحمامصى وقاسم جوده وأحمد حسن الباقورى وموسى صبرى ويوسف صلاح الدين .

ثم صمت لحظات . فسألته عن حقيقة أمين هذا ومادار حوله وماهى دوافع اغتياله السياسية؟؟ .

أجاب بقوله : فعلا من الأهمية ذلك . فقد تعلم في كلية فيكتوريا وتزوج من فتاة انجليزية من عائلة أقل من المتوسط . إنما بذلك الزواج سعى للتوصل لتوثيق علاقته بالانجليز وخاصة انه تعلم الانجليزية بدرجة جيدة في الكلية المشار اليها . كان له خاصية غريبة . فهو عندما يلتقى بالانجليز يدعى ان كلمته نافذة عند المصريين . وعندما يلتقى

بهولاء يزعم ان كلمته نافذة عند الانجليز بذلك كان سمسار سياسة .
وقد بدأ كمدير لمكتب وليم مكرم عبيد وزير المالية ثم مفتش وعندما
تكون وفد المفاوضات عام ١٩٣٦ ضم للوفد كسكرتير كأحد الذين
يجيدون الانجليزية . وكأحد الشخصيات ذات الصلة الوثيقة بالانجليز
وكان مطلبها في هذه المرحلة كهزمة وصل بين المسئولين المصريين
والانجليز ومن هنا نشأت صلة بينه وبين النحاس باشا الذى حاول
استخدامه . الا أن هذه الصلة أساءت للبلد كثيرا . لأنه تحول من
همزة وصل إلى مخلب قط للانجليز يساعدهم فى الاستيلاء على
مقدرات الوطن . بل كون جمعية اسمها الاتحاد المصرى - الانجليزى
فى الزمالك وخطب فى افتتاحه خطبة شهيرة قال فيها : انه بين مصر
وانجلترا زواج كاثوليكي لاطلاق فيه . ثم أنعمت عليه انجلترا بلقب
سير وأصبحت زوجته ليدى عثمان .

وقد لعب دور فى التباعد بين أخى والنحاس باشا وكان ضمن
المجموعة التى شاركت فى هذا مشاركة فعالة . وقد باع نفسه للانجليز
تماما .

ولذلك عندما اغتيل أمين عثمان . اكتسب المتهمين فى القضية
شعبية كبيرة بين الرأى العام المصرى . تصدوا للدفاع عنهم بعض
المحاميين مجانا ويمكن الجزم بأن شعبية انور السادات بدأت منذ هذه
القضية .

وبعد انتهاء هذه القضية تقطعت وسائل الاتصال ومضى كل فى
طريقه الا أن سمعت صوته فى الراديو فجر يوم ٢٣ يوليو عندما

أعلن قيام الثورة وقد سمعت بيانه بالصدفه عندما كنت فى طريقى من مصر الجديدة الى الفندق الذى نزلت فيه أثناء غياب أسرتى فى الأسكندرية . قد لاحظت من داخل سيارتى ان الطرق مغلقة والجيش فى الشارع . أدت الراديو محاولا استطلاع الأمر فسمعت البلاغ رقم واحد . وعندما سمعت صوت أنور السادات هو يلقى البلاغ تشككت فى اننى أعرف هذا الصوت حتى تأكدت من ذلك مع انتهاء اللقاء البلاغ . ثم عدنا مرة أخرى للقاء حيث كلفنا من هيئة التحرير أولتنظيم سياسى بعد الثورة بالسفر الى محافظة قنا للدعوة - سويا- الى مساندة الثورة وتأييد هيئة التحرير .

ثم أضاف مضيفى بقوله : وقد حاولت المشاركة السياسية عندما حانت فرصة انتخابات فى أول برلمان بعد الثورة . وكانت هذه الفرصة فى انتخابات تكميلية عام ١٩٥٨ حيث عين الدكتور عبدالرازق صدقى عضو البرلمان فى منظمة الفا وبالأأم المتحدة وبالتالى أدخلت الدائرة الانتخابية . ومن ثم قررت أن أخوض الانتخابات فى حى شبرا وكان منافسى أحد كبار تجار الغلال من سوق روض الفرج اسمه محمد بركات . الا أننى اكتشفت ان الحكومة تحاربنى وضدى فى هذه الانتخابات . ربما يدهشك أنك تعرف ان الذى كان يؤازرنى ويشجعنى هم الإخوان المسلمين وكانت مجموعة كبيرة منهم تساندنى فى الدعاية فقد توسموا فى شخصى المتواضع الوطنية والخير وكذلك بعض الشيوعيين وقفوا معى . وبالطبع لا أستطيع أن أرفض ذلك لأن الانتخابات فى حاجة الى مساندة ومؤازرة وتشجيع من أى طرف .

وفى أول جولة انتخابية حصلت على ٥٠٪ من الأصوات وبالتالي كان لابد من الاعادة لأحصل على هذا النصيب مرة أخرى بالاضافة إلى واحد أو أكثر من الأصوات. الا أن منافسى رجل ثرى جدا فاستخدم المال سلاحا فى الانتخابات ويبدو ان هذا السلاح ماضى فى الانتخابات ولكن ذلك فى المدن فقط وليس فى الأرياف والقرى فالمعايير مختلفة هناك لأن الناجح هناك يحصل على آلاف الأصوات أما فى المدن فيمكن ان يفوز بأقل الأصوات والتي يمكن الا تتجاوز ألفين أو ثلاثة آلاف صوت. وقد خسرت انتخابات الاعادة بأقل من خمسين صوت.

وبعد انتهاء الانتخابات. وكنت صديقا لصلاح الدسوقي محافظ القاهرة فيما بعد وعبداللطيف البغدادى. وسألتهم عن أسباب موقف الحكومة ضدى فى الانتخابات. وجاء ردهم غريبا حيث أشاروا إلى ان هناك البعض قد توصل إلى اقناع الهيئة الحاكمة بأننى شيوعى خاصة ان سندهم فى ذلك ان مجموعة من الشيوعيين كانت تآزر فى الانتخابات وقد ساروا معك فى أثناء حملة الدعاية الانتخابية وبذلك ترددت شائعة حول سمعتك كرجل شيوعى. وكان ردى على ذلك كيف يتصور اننى شيوعى. فقد ورثت عن والدى - بفضل الله - ثروة محترمة فوق المائة فدان. فكيف يتفق ذلك مع الشيوعية حتى من الجانب الإنسانى. وإذا ما أيدنى أقصى اليسمينى وأقصى اليسار فلا يمكن أرفض ذلك، فقيل لى : هذا ما حدث وبعد ٦ ساعات حل المجلس.

واستطرد بقوله : وقد ابتعدت فى مكتبى لأمارس مهنتى المحاماة.

بعيدا عن إرهاق الانتخابات ورذاذها ومناوراتها . وأكتفيت بأن تكون صلتى بالسياسة عن طريق مطالعة الصحافة . وكنت التقى بالرئيس السادات أحيانا فى مناسبات اجتماعية . إلى أن كان عام ١٩٧٥ قابلنى المهندس سيد مرعى وبادرنى متساءلاً : لماذا أنت متباعد فأجبتته بأننى فى مكتبى وعملى وسفرى لبلدى لألتقى بأقاربى وأصدقاءى وأهل بلدى فى قنا . واننى رئيس المجلس الأعلى لرابطة أبناء قنا فرد بقوله : لا . . ده الرئيس السادات يتساءل لماذا أنت متباعد عنا .

وبعد يومين من هذا اللقاء جاءنى تليفون ليخبرنى محدثاً بأن الرئيس السادات يريد التحدث معى . فسعدت بذلك ورحبت به كرئيس جمهورية . وطلب منى الحضور لمقابلته فى القناطر الخيرية . وذهبت إليه . فبادرنى بقوله : انا زعلان منك فسألته عن السبب فرد قائلاً : لأنك بصفاتك ومحبتك ووطنيتك وكفاءتك متباعد عنا هل هناك ما أغضبك . فنفيت ذلك تماماً . فرد قائلاً : طيب أنا أصدرت قرار بتعيينك عضو فى مجلس الشعب . فشكرته وانصرفت .

وفى ذات العام كانت المنابر قد تكونت . منبر الوسط ومنبر اليسار ومنبر اليمين . وفى العام التالى تحول منبر اليمىنى إلى حزب الأحرار الاشتراكيين فاتصل بى مصطفى كامل مراد رئيس الحزب . وعرض على أن أكون مع الدكتور المرحوم أحمد سيد درويس نواباً له . فوافقت . ومن هنا فقد عاودت مشوارى السياسى من موقع المعارضة .

وقد قاطعته قائلاً : وان كنت قد عاودت مشوارك السياسى من

موقع المعارضة. فاعتقد انه كان لك دور فى تشكيل حزب معارض
آخر وهو حزب العمل الاشتراكى برئاسة المهندس ابراهيم شكرى . .
فكيف حدث ذلك

فأجاب يقول: عندما تقرر اقامة الحزب الوطنى الديمقراطى. فإن
أعضاء مجلس الشعب من الحزب قد انسحبوا من حزب مصر. وفى
تلك الأونة كتب مصطفى أمين أنهم هرولوا. وقد غضب السادات
من ذلك واننى قد اختلفت معه أيضا فى تعبيره. لأنهم هرولوا عن
يقين. وهو رئاسة انور السادات للحزب الجديد وهو يمثل لهم المثل
الأعلى للوطنية والكرامة فى الحق وكل المعانى الطيبة. فقد
هرولوا للخير وليس كقطيع أو جماعة من البلهاء. هرولوا عن ادراك
وعلم عما يفعلونه ومن حق. الا أن مصطفى أمين- عودنا- على ان
يكون مخالفا أى تحقيقا للمثل القائل: خالف تعرف.

كما انضم الينا من السكرتارية العامة لحزب مصر فؤاد محى الدين
ومحمد حامد محمود الا أن محمود أبو وافية السكرتير الثالث لحزب
مصر قد تردد وهو صهر الرئيس فحسم تردده وأشار إليه بأن ينضم
إلى المهندس ابراهيم شكرى الذى يسعى لتكوين حزب. وكان الرئيس
السادات متحمسا لتشكيل ابراهيم شكرى لحزب العمل المعارض. وقد
دعانى لمقابلته وطلب منى تقوية هذا الحزب المعارض. حتى تكون
هناك معارضة. . رأى آخر.

واستدرك محدثى قائلا: وكان قانون الأحزاب يستلزم لتشكيل
حزب ان يكون من بين مؤسسيه عشرين من أعضاء مجلس الشعب.

وطلب منى الرئيس السادات دفع أو دعوة بعض الأعضاء للانضمام لحزب العمل وتأسيسه . وفي تلك الأونة كان لدى ابراهيم شكرى خمسة أعضاء . وأشارت إلى أن هذه عقبة . فكلفتى الرئيس السادات بمهمة استكمال العدد وحملنى مسئولية هذا . وحاولت وسعيت بالاقناع للأعضاء بالانضمام ومارست بعض الضغوط الودية لضم بعض الأعضاء لحزب العمل حتى ان بعضهم اندهش لذلك وتساءل :

أنتم زعلانين منى ولا ايه . انا عملت حاجة ! حتى نجحت فى استكمال العدد الى اثنى عشرة عضوا فقط . وعرضت الأمر على الرئيس السادات فطلب منى الدعوة لاجتماع الهيئة البرلمانية للحزب الوطنى فى مبنى مجمع مجلس الشعب ودعوة موثق الشهر العقارى للسيدة زينب . وبالفعل تم ذلك . وفى هذا الاجتماع طلب الرئيس السادات من الموثق فتح محضر محتواه : نحن الموقعين جميعا قد قمنا بتأسيس حزب العمل الاشتراكى .

ثم وقعنا وبلغ عددنا ٢٥٠ عضوا . وبذلك تكون حزب العمل المعارض من بطن الحزب الوطنى . فإذا كان ابراهيم شكرى من المؤسسين فأننى من أوائل مؤسسى هذا الحزب المعارض أيضا .

ولكننى سألته : هل الرئيس السادات ه الذى كلف ابراهيم شكرى بإقامة حزب العمل أم أن ابراهيم شكرى ه الذى بادر بهذا السعى ؟

لحظات صمت . وروية ثم تحدث قائلا : أذكر انه فى يوم كنت سألتقى بالرئيس السادات فى العمورة بالأسكندرية . وكنت على

وشك الدخول إلى القصر فرأيت المهندس ابراهيم شكرى يتأهب للخروج من البوابة. فتبادلنا التحية لبعض من بعيد حيث كان كل منا فى سيارته. وعندما وصلت للرئيس السادات. فقلت له انني رأيت ابراهيم شكرى يخرج من القصر. فعلق بقوله: انه سيقسم حزب للمعارضة.

فهل هو الذى كلفه أم انه طلب من الرئيس ذلك. فאלله أعلم بذلك.

وأضاف فكرى مكرم عبيد بقوله: وعندما تأسس الحزب وأصبح له كيانه و ابراهيم شكرى رئيسه. وقد وقعت معاهدة كامب ديفيد. فقد دعاه الدكتور مصطفى خليل رئيس الوزراء حينذاك. مع حضور اللواء حسن أبو سعده رئيس هيئة العمليات فى ذلك الحين لمجلس الوزراء وقد جلس بجوارى وشارك فى نقاش حسن أبو سعده عن اجراءات الانسحاب الإسرائيلى من سيناء وتحريرها وكان أكثر الحاضرين نقاشا حتى اقتنع تماما بسلامة موقف السادات ومقتنعا وذهبنا إلى مجلس الشعب وقد دافع إبراهيم شكرى عن المعاهدة وتحدث عن ايجابياتها. ثم بعد سنوات تحول إلى ضدها لسبب غير مفهوم.

ولكننى استطرادا حول مفهوم المعارضة لدى السادات وحماسة لتشكيل أحزاب معارضة تعدو من روافد ثورة يوليو كحزب الأحرار وحزب التجمع فهل كان السادات يسعى لصناعة معارضة بشكل معين أو معارضة محدودة أو مستأنسه أم معارضة يمكن السيطرة عليها أو توجيهها وخاصة ان الناصريين قد ردوا ذلك فى بعض المناسبات؟!.

أجاب علي الفور بقوله: ان الناصريين آخر من يتحدثون في هذا. فالذى لاشك فيه أنه عقب ثورة يوليو ١٩٥٢ كانت الجماهير في حالة ذهول سياسى لاتدرى شيئا عن توجه الدولة ازاء التنظيمات السياسيه خاصة تنظيمات هيئة التحرير والاتحاد الاشتراكي والاتحاد الاشتراكي وكانت هناك غيوم حولها. فهل هذه تنظيمات ديمقراطية. أم رئاسية أم ماذا؟! واستمر هذا الواقع إلى ان توفى الرئيس عبدالناصر. ومازالت الناس لاتدرك من الأمر حقيقته. وفى ذات الوقت كان الناس قد قاست قبل الثورة من الاحزاب وما أحدثته من اخلال فطيع فالناس حائرة بين الأحزاب والملك والحكومة. وتنظر حولها بحثا عن من ينقذها من الخيرة ولما جاءت الثورة. تصوروا انها ستكون لهم انقاذ من كل هذا.

ثم صمت لحظات مفكرا ثم عاد وقال: اعتقد ان الناس كانت في حالة اشبه بالمرضى من قبل الثورة وحتى وفاة عبدالناصر. وكان هذا المريض فى حاجة إلى مجموعة أطباء «كونسولستو» الا أنه اكتفى بطبيب احد فرض دواءه عليه وهذا ماحدث.

الا أن جاء الرئيس السادات ورأى استحالة استمرار هذه الحالة المرضية لأنها ضد طبيعة الأمور ومنطق الحياة. فالله خلق الناس مختلفين تفكيراً وعقلاً وعملاً. وخلق الإنسان بعينين وليس عين واحدة ولذلك فلا يمكن ان يصاغ الناس فى قالب واحد تخضع له جميعها وانما لابد ان تكون هناك اراء مختلفة طالما يقضون إلى

الخير . فالمسألة ليست تنافر بل تضافروا ان اختلفت الرؤى ومن هنا بدأ السادات بفتح الأبواب فى غرفة مغلقة ولا بد ان نفتح له النوافذ حتى يستطيع المريض التنفس فى جو متجدد وان كان قد تدرج فى فتحها حتى يتمكن المريض من التنفس بطريقة تدريجية لأنه لو فتح الأبواب على مصراعها فربما يصاب المريض بنزلة برد شديدة أو نزلة شعبية أو مرض آخر كالفوضى التى تعود إلى ما كانت عليه قبل ثورة ١٩٥٢ وبذلك يكون الحال أسود مما مضى .

وأضاف محدثى بقوله : ولذلك بدأ الرئيس السادات بفكرة المنابر لأنه رأى ان الاتجاهات السياسية اما ان تكون يمينية أو يسارية أو وسط فاليمين قد تمثل فى منبر الأحرار والوسط فى حزب مصر واليسار فى حزب التجمع . تمهيدا لتحويلها إلى احزاب . بذلك فقد تدرج خطوة أى باب باب للمريض . حتى لا يحدث بلبه أو فوضى أو اندفاع غير محسوب ولا شك انه كان سعيدا برئاسته لحزب الأغلبية . وانه لا يضيق بالأراء الأخرى الممثلة فى المعارضة لأنه الذى طلبها وسعى الى تشكيلها ويرى ضرورة وجود رأى الآخر . الا أنه كان يضيق بالناس التى خارج هذه التنظيمات الشعبية القانونية . عندما تشكل حزب الوفد الجديد برئاسة فؤاد سراج الدين قد ضاق من دعوته للعودة للوراء . وسعيه لاعادة عقارب الساعة الى الوراء وبالطبع فإن هذا ضد طبيعة الأمور والطبيعة البشرية أيضا . فلا بد أن تدور عقارب الساعة للأمام .

ولكننى التقط خيط الوفد الجديد وسألته عن اسباب موافقة السادات على عودة هذا الحزب؟! .

أجاب دون تفاصيل بقوله : فى النهاية وافق على ذلك احتراماً لرغبة جانب من رأى العام الذى كان يريد عودة حزب الوفد . وكان من المصلحة ان يوافق حتى لايتهم بأنه لا يريد معارضه بذلك يخسر أمام رأى العام . انما أراد التأكيد على احترامه لرغبة البعض من رأى العام ويؤكد أيضا أنه لا يضيق بمطالب رأى العام .

ثم سأله بقولى : لقد أجرى استفتاء فى أواخر السبعينات حول العزل السياسى وكانت مصر قد تجاوزت هذا منذ حكم عبدالناصر . الا أنه عاد تحت دعوى عزل الذين افسدوا الحياة السياسية قبل الثورة . وقد طبق فقط على فؤاد سراج الدين وعبدالفتاح حسن فما قولك فى هذا

أجاب قائلاً : عندما تكون حزب الوفد الجديد لجأ فؤاد سراج الدين الى عبدالفتاح حسن لأنه يحتل عنصراً لوطنية والسلام والتجديد وكانت صلته به انه مدير مكتبه الأسبق . وإذا كان قد أمد الله فى عمره اعتقد- انه لاختير نائباً لرئيس حزب الوفد الجديد .

ثم ختم حديثه حول المعارضة بقوله : ان الجميع يؤمنون بضرورة وجود معارضة . معارضة سليمة نظيفة تتوخى بناء الوطن وإنما إذا كان مفهوم المعارضة هو الهدم فالهدم بسيط .

الفصل الرابع:

بدايته الحزبية... هجوم على الوزراء

- لماذا اختار السادات أول أمين عام لحزبه من المسيحيين.
- ولماذا أقيمت من الأمانة العامة.
- الأساتذة الدكاترة من أفضل المستشارين وليسوا وزراء.
- لماذا كان نظام الكلاء البرلمانيين.. وكيف ألغى.

لاشك أن اختيار فكرى مكرم عبيد كأول أمين عام للحزب الديمقراطي والذي بادر الرئيس أنور السادات بتأسيسه وهو حزب الأغلبية الحاكم كان ذلك الاختيار مفاجأة ولا يمكن لاي شخص الادعاء بأنه كانت لديه أى إشارة أو معلومة أو معرفة حول هذا الاختيار.

وأذكر انه بمجرد اعلان اختياره فى الصحف. قد استلفت الأنظار حتى ان الكاتب الكبير الأستاذ أنيس منصور وكان رئيس تحرير مجلة أكتوبر وأقرب الصحفيين للرئيس السادات. قد بعث فى طلبى وأمرنى الأسراع فى عمل حديث صحفى مع فكرى مكرم عبيد. . وكانت ضمن الأسئلة التى أملاها لى ماهى أسباب اختياره أمين عام للحزب الجديد! إلا أنه بعد دقائق أمرنى مرة أخرى بصرف النظر عن ذلك الحديث الخاص لمجلة أكتوبر وطلب منى الاكتفاء بحضور المؤتمر الصحفى الذى سيعقده الأمين العام الجديد للحزب الجديد. والحقيقة ان هذا السؤال لم يطرحه أحد الصحفيين على رجل المرحلة الجديدة. ومرت السنوات هأنذا أنفرد به محاور وكان هذا السؤال من الأسئلة التى كنت حريص على طرحها أمامه حريص أيضا على اجاباته. .

التي استغرقت لحظات تأمل خرج منها للإجابة والرد وقال : والله يا محمد.. . الاختيار لم يأتى من فراغ فكنا زملاء دراسة في عام ١٩٢٨ التقينا مرة أخرى في قضية أمين عثمان عام ١٩٤٢ وقد شاركت في الدفاع عنه بطريقة غير مباشرة. ثم كنت على صلة مستمرة معه ابان وجود أول تنظيم سياسى بعد الثورة وهو هيئة التحرير وتكليفها لنا معا بالسفر لجنوب الصعيد بأسوان وقنا وسوهاج للدعوة للثورة وللهيئة ثم تباعدى بعد انتخابات عام ١٩٥٨ وتفرغت لعملي في المحاماة حتى عام ١٩٧٥ حيث استدعاني وأصدر قرار تعييني عضوا بمجلس الشعب.. . حتى كان صيف عام ١٩٧٨ في شهر يوليو بالتحديد. وطلب حضوري للقاءه في استراحة القناطر الخيرية والتقيت به وبادرني بعرض فكرته باقامة حزب جديد فقال :

أنا قررت اقامة حزب جديد بدل حزب مصر عشان الحزب ده مش نافع.

فقلت له : ربنا يبارك في الجديد.

فقال : وأنت ستكون سكرتير عام الحزب الجديد.

فقلت له : ألا ترى ان المهندس ابراهيم شكرى أنسب.

فقال : لا.. . انا اخترتك أنت. فأنت تمثل الصداقة القديمة وكان لك دور في الحركة الوطنية وأذكر انك اتجست في قسم الوايلي أثناءها.

فقلت : ياريس اننى - بالطبع - لا أستطع ان أرفض لك طلبا ولكن هل فكرت جيدا في اختيارى؟! .

فقال : طبعا فكرت بعمق . أنت كفاءة وأتبع أخبارك عن بعد وأقرأ وأدرس إلى آخره . ولما مصطفى كاسل مراد يعرف اننى اخترتك مش حايزلعل .

فقلت له : اذا كنت تري ذلك فأنا مستعد للمهمة الجديدة .

ومرت أيام وبعدها التقيت به مرة أخرى . بادرت متساءلا : ياريس هل فكرت فى أنه ربما يؤخذ عليك اننى مسيحي ؟ .

فأجاب على الفور : أنا فكرت تماما وأنتك أصلح الأسماء التى استعرضتها وعارفك كويس وعارف محبتك للناس ومحبة الناس لك . معرفتك بأعضاء مجلس الشعب من المؤيدين والمعارضين . واما عشان أنت مسيحي فأنا أرى أنها من الأسباب الهامة التى تؤكد حرصى على ان الحكم لايفرق بين مسلم ومسيحي . وهذه من ميزاتك وليس عيوبك .

ولكننى قاطعت فكرى مكرم عبید وسألته عن أسباب ترشيحه لابراهيم شكرى بدلا منه فهل كان يعرفه أم صديقا له ! .

فأجاب على الفور : اننى لم أتشرف بمعرفته شخصيا . بل كنت أسمع عنه كرجل وطنى عندما كنا فى الدراسة ونحن شباب أطلق عليه الشهيد الحى لأنه تعذب فى احدي المعتقلات . وكان مشهورا بالوطنية والوجه المشرق النظيف ورجل ممتاز .

ثم توقف لحظة وعاد واستدرك بقوله : وإذا كانت التطورات قد غيرته بعض الشئ فربما لأنه يبحث عن دور . فاختلطت الأوراق .

وأضاف قائلاً: وقد أصر الرئيس السادات على اختياري خاتماً
نقاش معه بقوله: المهم انا أرتاح لك.
وكانت حقيقة المحبة متبادلة معه.

ولاشك ان الحزب كان يستند على شخصيته المؤثرة أيا كانت النظرة
إليه فله أخطاءه ومزاياه شأنه كل البشر وغير هذا غير مقبول. انما
لاشك انه كان شخصية قوية جداً وقيادية وقائدا للجماهير وحديثه
طلی وخطيب وان كان أيضا كسول يستيقظ من نومه متأخرا لأنه
سهير في الليل كأخى ولیم مكرم عبيد. ومتأثرا بالحركات التمثيلية
حيث كان عضوا في فرقة التمثيل بالمرحلة الثانوية.

فقاطعته قائلاً: قال المهندس سيد مرعى -رحمه الله- ذات مرة انه
لابد للسياسى أن يكون فيه جانب تمثلى . فهل ذلك صحيح؟! .

أجاب بابتسامة عريضة: لابد.. لابد من هذا. وكان أخى ولیم
مكرم عبيد من كبار الممثلين فى بعض الأحوال. وكان يشبه السادات
فى ذلك. فعندما كان أخى يريد تأجيل قضية يتصل برئيس الدائرة فى
المحكمة ويدعى بصوته أنه متعب ويطلب تأجيلها أسبوعين أو ثلاثة
يستجاب لطله. كان يتحكم فى نبرات صوته وخاصة فى المرافعات
الجنائية والخطب السياسية. كان يمتلك نغمات صوته يرفعها كيفما شاء
ويخفضها أيضا ويهمس بها أحيانا.

ثم سألته عن أسباب اتجاه الرئيس السادات لاقامة حزب جديد
يكون هو رئيسه ولماذا لم يقتنع باستمرار حزب مصر برئاسة ممدوح

سالم وكان يمثل حزب الوسط وحزب الأغلبية وحزب الرئيس أيضا؟! .

جاءت اجابته بروية وقال : لقد أراد السادات تقوية حزبه شخصيا وكان السادات يؤمن بحكم الشعب لأنه كان يؤمن به . ويريد للشعب أيضا ان يؤمن به ويسعى لعمل تلاحم بين هذا الإيمان الفردى والإيمان الجماعى .

و كنا قد التقينا لمناقشة تسمية الحزب . وقد قرأت كتاب الاشتراكية الديمقراطية الذى أعده الدكتور صوفى أب طالب كمهج للحزب الجديد سألنى عن تسميته فأجبت بأنه يمكن تسميته الحزب الاشتراكى الديمقراطى لأن الفلسفة القائم عليها الحزب هى الديمقراطية كفلسفة لنظام الحكم والاشتراكية هى مانص عليها الدستور . وبذلك نجمع بين الفلسفتين خاصة أن حزب مصر كان يسمى حزب مصر العربى الاشتراكى بالتالى لاتخرج عن الخط السابق .

ولكنه بادرنى بالرد بسؤالى : وما رأيك فى الحزب الوطنى فأجبته : انه اسم عظيم . انما تلك التسمية كانت للحزب الوطنى بزعامة مصطفى كامل . ولكنه انقضى عندما تكون حزب الوفد فى عام ١٩١٩ .

الا أنه عاد وسألنى : ما رأيك فى مصطفى كامل .

فقلت : كان زعيم عظيم . والعالم كله يعرف من هو مصطفى كامل .

فقال : وانا عايز أخلط بين الحزب الوطنى القديم والحزب الوطنى الجديد قد أضفت إليه الديمقراطية . فما رأيك .

فأجبتة وقد أعجبني منطقته ليس هناك أفضل من ذلك الاختيار .

وتوقف دقائق ليرتشف فيها القهوة . وقد أنصت لحديثي الذى أحتوى بعض التساؤلات وقلت : من خلال متابعتي - بعد اختيارك أمين عام الحزب - وخاصة بعد اعلان اسمك . فانك بدأت على الفور فى الدعاية للحزب الجديد . الا أن هذه الدعاية فى جزء منها كان هجوما لاذعا وقاسيا أحيانا على حزب مصر المنقضى . وكذلك نقدك الجريء على بعض مثالب حكومة ممدوح سالم بل انه قد مسه بصفته رئيس وزراء وبعض الوزراء فيها . ورأيت ان هذا الانتقاد ربما يكون قد مس الرئيس السادات نفسه لأنه الذى اختار رئيس الوزراء وأعضاء الوزراء وأيضا قيادات حزب مصر . فلا أدري كيف بدأت ممارسة عملك كأمين عام للحزب الجديد وماذا عن مساحة حريتك فى ذلك وخاصة اختيار معاونين وأداء الحزب الجديد وأفكارك التى طرحتها حينذاك وكانت تعد بمثابة نقد لواقع وتقرير لقياداته . ولعلنى أرى ان تنتهى من الحديث عن حزب مصر . فى تلك الأونك . كماض ثم نتطرق الى حديث الحاضر والمستقبل عن الحزب الوطنى فى الأونة ذاتها .

وكان قد انتهى من القهوة واستند الى الخلف على مقعده كأنه يسترخى قليلا . وجاء صوته يحمل نبرة الثقة ويادر بالحديث عن حزب مصر فقال :

كنت أرى بعض المأخذ على حزب مصر . وكان رئيسه ممدوح سالم رجل فاضل وكتبت أكثر من مرة فى جريدة حزب الأحرار الذى كنت نائباً لرئيسه ان حزب مصر حزب موظفين ليس بحزب سياسى أو جماهيرى . وان كان ممدوح سالم رجل نقدره كرجل أمن الا أنه موظف ولايجوز ان يكون رئيساً للوزراء . وكان خطه بدأ كمديراً من الاسكندرية ثم محافظاً ثم زيرا للداخلية ثم رئيساً للوزراء . وقد افترق الحاسة السياسية . وعندما قرأ ذلك قد غضب منى . الا أننى عندما التقيت به أوضحت له اننى لا أقصده شخصياً فهو رجل وطنى ولكن منصب رئيس الوزراء ليس وظيفته .

وانما عندما يكون زيرا للداخلية فأقدم له ألف سلام انما رئيس وزراء فهذا أمر آخر . فرئيس الوزراء يخطط ويدير سياسة انما لايتفذه والمفروض ان الوزراء يقوموا بذلك .

ثم قاطعته متساءلاً : وقد ذكرت فى خضم دعايتك للحزب الجديد أن الخطأ السياسى الذى وقع فيه حزب مصر انه ابتعد عن القاعدة الشعبية .

فماذا كنت تقصد بالتحديد وإلى أى مدى كان قولك صحيحاً؟ .

فأجاب على الفور : مازلت مؤمن بذلك . لأن الذى يصيب كثير من الأحزاب ه الشيخوخة سواء المبكرة أو المتأخرة . ويعنى هذا الترهل السياسى . يتمثل فى اقرار أعضاءه بأنهم فى الحكم . وما لبثوا كذلك فما بالهم بالقاعدة الشعبية التى أتت بهم فى الحكم . هذه القاعدة التى يمثلوها . فأين هى من هذا كله؟! فأين رجل الشارع .

ورجل الحقل ورجل المصنع . والمكتب والجامعة . ان هؤلاء جميعهم الحزب . فإذا تحول الحزب الى العمل المكتبي وابتعد عن التلاحم بهذه القاعدة وتحول الحزب أيضا إلى أداة حكومية فإن ذلك يعنى ان الشيخوخة المبكرة أصابت الحزب .

وهذا مانخشاه على حزبنا . لأنه بلغ من العمر ما يخاف منه هذا الترهل السياسى ولذلك لابد من تجديد الدم باستمرار فى الحزب مما يجعله خلية حية باستمرار ومن هنا فالذى أقدم عليه الرئيس مبارك بصفته رئيسا للحزب الوطنى من اعادة تكوين المكتب السياسى ضم عناصر جديدة بعضها تمثل قواعد شعبية وأخري تمثل قواعد علمية فإن هذا يعد تجديداً فى الدم الذى يضح بالحزب ويجعل خلايا جسده حية دائما . وكذلك اعادة تشكيل الأمانة العامة من عناصر جديدة وبعضها من الشباب فإن ذلك يعد تجديدا حميدا .

وكل ما أرجوه لحزبنا الأتصبيه هذه الشيخوخة أ هذا الترهل السياسى وغالبية الأحزاب تصاب بذلك طالما انها تميل إلى السكون سنوات حتى موعد الانتخابات البرلمانية . فتعود لنشاطها وتردد وعوداً وثلاث أرباعها وهمية أو كاذبة ومن هنا فالخطر فى ان الناس تفقد الثقة والمصداقيه ما يقال لها أثناء الانتخابات لأن النائب أحيانا يردد كلاما ووعودا كثيرة ثم لايفعل شيئا ويدير ظهره للناخبين تنتهى صلاته بالناس بمجرد حصوله على المقعد فى البرلمان . هذا خطأ سياسى كبير .

ثم توقف لحظات تأمل . ثم عاد للحديث ووجهه يحمل ابتسامه ذات مغزى فقال : ولكن فى الأونة الحالية . فاننى أرى حركة فى

مجلس الشعب لأنها تبدل على حيوية سياسية سواء بين المعارضة أو الأغلبية . فالأعضاء يسعوا لتحقيق كيان ذاتى لكل منهم . وعينه على الانتخابات فى المستقبل القريب . سيمسك كل منهم مضابط المجلس مشيراً لى ما سجله من أحاديث وأفكار وآراء ومطالب ورغبات جماهيرية . ومواقفه فى حادث أو موقف أو قانون . ولاشك أن كل هذه الأمور تجعل الحيوية تمتد لجذور الأحزاب .

ثم استدرك بقوله : ولو كان الأمر بيدى . فأننى أجرى نظام محاسبة سنوية لرجال الأحزاب فى الهيئات البرلمانية الخاصة لكل منها . فلا يكفى الاستماع لكبار الأعضاء . انما لابد ان يقدم كل عضو كشف حساب عما أداه من ممارسة برلمانية وما فعله لدائرتة الانتخابية . لأنه ليس من المفروض ان يجلس نائب فى البرلمان كقطعة أثاث . انما لابد من الممارسة والمشاركة حتى لو أخطأ . فهذا لايهم لأن القاعدة ان المجتهد له نصيب واذا أخطأ له نصيبين اذا أصاب . فلو تحدث النائب وتبين له أن بياناته غير دقيقة أو غير وافية فانه سيتعلم يتجنب ذلك فيما بعد انما لابد من الحديث والمشاركة لتفجير قضايا الجماهير . فهى فى شغف إلى المعرفة وكيف تساس البلد وبأى شكل ولأى مدى . وان كان يصعب ان تحاسب كل هؤلاء النواب . فإن الستة الذين اختيروا ممثلين للحزب الوطنى على سبيل المثال يمكنهم رفع تقارير للقيادة السياسية الحزبية عن أداء الأعضاء اما السكوت على الحق فانه شيطان أخرس . فلا يمكن أن يرى نائب الشر ولكنه يدير ظهره طالما أنه لايمسه شخصياً . وهذا خطأ كبير .

فالناس جميعها فى هذا الجو داخل مركب واحد لابد ان يساهم كل نائب فى انقاذه بل كل مواطن .

ثم قلت له : وقد لاحظت انك تعارض تبوأ أساتذة الجامعات مناصب الوزراء وكان ذلك قبل توليك منصب نائب لرئيس الوزراء فقد ذكرت فى اتحدى تصريحاتك الصحفية فى عام ١٩٧٨ بالتحديد : اننا عندما نختار مجموعة من أساتذة الجامعة الدكاترة كوزراء لحل مشاكل الجماهير نكون قد أرتكبنا خطأ سياسى واستراتيجى . فمع احترامنا الكامل للأساتذة وعلمهم ودراساتهم الا أنهم ليسوا بالضرورة على علم كامل بحاجات الجماهير واحتياجاتها الملحة . فما رد فعل هذا التصريح فى ذلك الحين .

وهل مازلت عند رأيك؟؟ .

أجاب على الفور : بالطبع غضب أحد الوزراء من ذلك واتهمنى بأننى تجنيت على مجلس الوزراء برئاسة ممدوح سالم عندما أشرت إليه بأنه مجلس خبراء ليس مجلس وزراء وأنه يجب ان ينبع من الشارع ولا ينبع من الصوامع .

واستدرك وأكد قائلاً : ولازلت عند هذا رأى . فالأساتذة الدكاترة من أفضل المستشارين . فيمكن الاستماع لرأيه أو تكليفه بدراسة معينه انما هو ليس سياسى . وإنما السياسة تنبع من الشارع الذى يكون الرأى العام وهذا جوهر الديمقراطية ولذلك نجد فى أكثر البلاد تقدماً ان الوزراء جميعاً من أعضاء البرلمان . وهذا ليس انتقاصاً لقيمة الأساتذة

العلمية فى الجامعات ومراكز البحوث. فمثلا لو أردت اعداد قانون للضرائب فأننى استفيد بالأساتذة المتخصصين فى هذا الفرع وأطلب آراءهم القيمة من الساحة العلمية. إنما أنا كوزير فأننى اعتبرها ضمن عناصر تقديرية للمواءمة السياسية مع الجماهير والتي تعد عنصرا رئيسيا بل وأساسيا فى اصدار قرارى أو القانون. وإذا وجدت ان رؤية الجماهير غير صائبة مع وجوب الأخذ بالرأى العلمى فأننى أحاول تصويبها وإذا لم أستطيع ذلك فهناك العنصر السياسى هو المواءمة انما لا يمكن ان أفرض على الرأى العام رأى الأساتذة مجردا من أى اعتبار جماهيرى أو سياسى. أما إذا التقي الرأيان فأننى بذلك يمكن مزج رؤية الأساتذة بأراء الرأى العام ويكون ذلك قمة النجاح فى إصدار قرار أو قانون.

سألته هل يمكنك الدلالة على رأيك ببعض الأمثلة وخاصة من خلال خبرتك كأمين عام - حزب الأغلبية- سابق وهو الحزب الحاكم وكذلك من خلال مسئوليتك كنائب لرئيس وزراء أيضا؟.

تفحص وجهى لحظات ثم قال: مثال ذلك الأستاذ الدكتور المرحوم عبدالمنعم القيسونى الذى معروف عنه من أكبر أساتذة الاقتصاد. عندما كان يشغل منصب نائب رئيس وزراء للشئون الاقتصادية فى عامى ٧٦-١٩٧٧ أراد سد عجز الميزانية. فالإيرادات أقل من الانفاق الكثير. والضرائب تعد من مصادر هذه الإيرادات. فرفع أسعار بعض السلع الضرورية فجأة أصدرها بقرارات للجماهير التى انزعجت من هذه المفاجأة بلا أى مقدمات أو ايضاحات أو تمهيد اعلامى. مما دفع

الناس إلى التظاهر والمعارضة فى الشارع . وقد ركب هذه الموجة الشيوعيين وكادت البلد تحترق لولا أن الرئيس السادات ألغى هذه القرارات . يعنى ذلك أن هذا الاستاذ الجامعى يفتقد الحس السياسى . حس الشارع رغم علمه الغزير .

وهنا مثال آخر . عندما كنا فى اجتماع للجنة وزارية عليا برئاسة الدكتور فؤاد محى الدين . فقد طرح علينا وزير الانتاج الحربى أبوابه لأنه يبيع المنتج من البوتاجاز بخسارة . فهو يتكلف سبعون جنيها والحكومة تحدد سعر بيعه بخمسة وستون جنيها . ومن هنا فالخسارة فى البوتاجاز الواحد خمسة جنيها . طرح اما أغلاق هذا المصنع أو الموافقة على زيادة سعر بيعه حتى أغطي هذه الخسارة .

الا انى وفؤاد محى الدين رفضنا ذلك على الفور . لأن ما حدث فى يناير ١٩٧٧ خطأ القيسونى مازال ماثل أما عيوننا . ثم تحدث المهندس عثمان أحمد عثمان واقترح عليه ان يدخل تعديلا على البوتاجاز ويرفع سعره تبعا لذلك . ولتكن حليتين . وستكلف جنيها واحد وبذلك فالتكلفة تصل إلى احدى وسبعين جنيها يمكن تحريك سعر بيعه إلى سبعة وسبعين جنيها .

وبعد أسابيع أخبرنا جمال السيد ان الناس اتجهت إلى شراء البوتاجاز المعدل وتركت الآخر . وبذلك فقد حقق مكاسب للمصنع دون أن يحدث بلبلة أو معارضة من رأى العام . وهذا هو الفرق بين الاستاذ وبين رجل السياسة والرجل الشعبى عثمان أحمد عثمان .

ومن هنا فانك لو أتيت بالتكنوقراط وتضعهم فى مواقع السياسة فهذا خطأ كبير .

ثم قلت له : ولكننى من المتابعة السياسية . لاحظت ان موقعك السابق لمنصبك فى الحزب الوطنى وهو نائب رئيس حزب الأحرار المعارض يؤثر على توجهك كأمين عام لحزب الأغلبية . فقد صرحت يوم توليك نائب رئيس الوزراء فى أكتوبر عام ١٩٧٨ ما يدل على اهتمامك بالمعارضة فقلت تحديدا : اننا نرحب بالنقد البناء والمعارضة الشريفة طالما تستهدف المصلحة العامة دون مزايدات جوفاء وطالما انها بعيدة عن التشهير . وأضفت ان الرئيس السادات قد أوضح لك ان الحكم سيقوم على الشورى التى دعت اليها الشريعة الإسلامية .

وبعد مرور ثلاث سنوات وبالتحديد فى المؤتمر العام للحزب الوطنى وقبيل اغتيال الرئيس السادات بأسبوع فى عام ١٩٨١ قد أعلنت به : ان نظرة الحزب الوطنى لا تقتصر على ارساء قواعد عامة سليمة للحزب بل أيضا انماء المعارضة وضرورة تشجيع رأى الآخر بالحزب الوطنى . فهل بعد ممارستك الحزبية خلال ثلاث سنوات تسرب اليك الخوف من ان الحزب الوطنى يمارس نشاطه كتنظيم سياسى واحد باعتبار انه حزب الأغلبية أم ماذا كنت تقصد تحديدا ؟؟ .

أجاب بهدوء قائلا : المسألة ببساطة أن الديمقراطية تستتبع الحوار . ولا بد أن تعرف اتجاهات الناس . ألامها وأمالها . وهذا لن يتأتى عن طريق التنظيم السياسى الواحد . فقد خلقنا جميعا بتفكير مختلف بالتالى بآراء مختلفة . فما تراه خطأ ربما أراه صواب والعكس صحيح .

وقد نجتمع على رأى واحد وعندما تكون ضمن الأقلية ربما يكون لديك رأى أفضل وأجدى مما أراه أنا بين الأغلبية . فلو منعت نفس من رأيك وكان سديدا فقد منعت الخير الذى قد يأتى من رأيك .

وفى ضوء هذا ونظرا لضخامة الحزب الوطنى فكنت أخشى أن يتحول إلى تنظيم سياسى واحد فى ممارسته السياسية كما كان الحال فى هيئة التحرير والاتحاد القومى ثم الاتحاد الاشتراكى . وكانت هذه التنظيمات على خلاف القاعدة الطبيعية وهى اختلاف الناس . وكما قيل خلافتهم رحمة وإن كان قد قيل ذلك فى غير هذا الموضع انما ما نستخلصه فى كل موقع الشارع . القهوة . المصنع . الحقل . الديوان . فى كل منطقة ويكون هذا التواجد باقناع الناس برأيك . فإذا ماناقتهم فلا يمكنك ارغامهم على الاقتناع برأيك . لانك لو فعلت ذلك فلن يكون هناك حوار والمسألة تصبح املاء والإملاء بطبيعة الحال لا يرضى الناس . وعندما تنتهى من حديثك بالإرغام فانهم ربما يجاملوك ولكن ذلك لا يغير مافى قلوبهم وضميرهم . ولذا فما صرحت به كما أشرت أنت فمارلت أقوله . لابد ان يكون هناك رأى آخر والا فمن الذى ستحاوهم ومن الذين ستقنعهم . وإذا ذهبت اليهم للحوار وفى ذهنك أنك لن تقنع بالحوار والأراء وكأنك تذهب بفكرة مسبقة ثابتة فإنك بذلك لا تمارس عملك الحزبى بقلب مفتوح وأذان صاغية فالديمقراطية حوار اقتناع اقناع .

وعند هذا الحد . كان لابد من عودة الحديث إلى بدء . فإذا كان قد طرح أراءه وأفكاره كأمين عام للحزب الوطنى وكانت من الشجاعة

الجرأه الأانة رغم تعارضها مع ماكان عليه الواقع منذ سنوات وفور توليه منصبه . . فماذا اذاً عن أداء وممارسة نشاطه الحزبى وما الذى أضافه في هذه الممارسة ؟! هذا ما طرحته عليه .

بادرتى بالاجابة حول بداية ممارسته الحزبية فقال : عندما كلفنى الرئيس السادات بهذه المهمة . طلب منى اختيار معاونين أطلق حريتى فى ذلك عدا شخص واحد . وكان اختيارى لثلاثة أولهم المرحوم محمد عبد الحميد رضوان . وكنت قد زاملته فى وفد برلمانى برئاسة المهندس سيد مرعى للولايات المتحدة الأمريكية وكان ذلك بعد توقيع معاهدة كامب ديفيد مع إسرائيل فى عام ١٩٧٨ وقبل تكليفى بمهمة أمانة الحزب كانت هذه الزيارة أتاحت الفرصة لى للتعرف عليه عن قرب وقد أحبيته واعتبرته بمثابة الأبى وهو اختارنى بمثابة الأب . وكان شاب ممتاز له صلات طيبة بأعضاء مجلس الشعب يعرفهم معرفة وثيقة . ولذلك فقد اخترته ليكون مساعدا لشئون مجلس الشعب . ولكننى سألتة عمن يصلح لأن يكون مساعدا لى للشئون الخارجية يستطيع التعامل مع الأجانب والسفراء فرشح لى زميل دراسة فى مدرسة فيكتوريا وهو الأستاذ منصور حسن . وقد تعارفت عليه ورأيت فيه شاب جيد ووافقت على الفور . ثم اخترت ماهر محمد على ليكون مساعدا لشئون المهنيين واما كمال العقيلى مساعدا للعمال فقد قدمه لى الرئيس السادات .

ثم كونت لجنة فكر . بمثابة لجنة استشارية من أعضاءها : الدكتور عاطف صدقى والدكتور رشاد رشدى والدكتور وجيه شندى والدكتور

مصطفى السعيد والدكتور عادل عز والدكتور أحمد سلامه والدكتور أحمد محمود عمر والدكتور جلال أبو الذهب وفي أول اجتماعي بهم ذكرت انني وضعت في موقع امانة الحزب الوطنى ومهمتى تقويته ولست من الغرور الادعاء بأننى أعرف كل شئ انما معلوماتى لاتزيد عن أى معلومات مواطن عادى ولذلك أريد كل فى مجاله ان يقدم رأيه العلمى أو الفنى فى الموضوعات المطروحة للدراسة . وقد بدأنا على هذا الأساس . وكان اجتماعنا أسبوعيا كل يوم أربعاء . وتناول بالنقاش أى قضية أو موضوع ونخلص إلى ورقة بالرأى نرفعها للرئيس السادات . وبذلك حاولت الجمع بين الفكر السياسى والفكر التكنوقراطى . وقد استمرت هذه اللجنة طوال وجودى كأمين عام للحزب .

عندئذ سألته عن نظام الوكلاء البرلمانيين الذى كان معمولا به فور تكوين الحزب الوطنى الا أنه اختفى بعد وقت فماذا عن ذلك النظام وماذا كان الهدف منه؟؟ .

فأجاب قائلا : كان هدف ذلك النظام هو التنسيق بين الحكومة والحزب والبرلمان وخاصة فيما يتعلق بمصالح ومطالب الجماهير . ولمنع المنظر القبيح الذى تراه الآن من تهافت النواب على توقيعات الوزراء ورئيس الوزراء الذى عليه متابعة مناقشة المجلس الا أنه لا يستطيع ذلك بسبب تكالب وتهافت والتفاف النواب حوله للحصول على توقيعات وتأشيرات لمصالح أهل الدوائر الانتخابية . ولاشك انه على النائب السعى لقضاء مصالح وخدمات أهل دائرته وهذا واجب وشئ

طبيعى بل يعد من أولي واجبات النائب ولكن بشرط ان يحافظ علي كرامته لأنه نائب عن الشعب . وهذا شئ كبير ومهم .

ولذلك رأيت ان نظام الوكلاء البرلمانين يحقق الغرض دون اهدار لكرامة النائب وشغل الوزراء عن متابعة مناقشات مجلس الشعب واتصال الحوار البرلمانى مع الأعضاء فى قضايا وموضوعات هامة .

ومن هنا كان تكليفى لكل وكيل برلمانى بعقد جلسات يستقبل فيها الأعضاء ويقوم نيابة عن الوزير - بانهاء مصالح النواب وقضاء خدماتهم لأهالى الدوائر الانتخابية بالاضافة لدعوة الوزراء للنادى السياسى بالحزب ولقاءهم بالأعضاء وكل منهم له طلب ورجاء أو توصية للوزير المختص فليطلب ما يشاء ونحن فى بيت الحزب . لانحتاج إلى هذا المنظر القبيح الذى نراه الآن فى الجلسات ويذاع فى التلفزيون يبدو فيه اهدار كرامة النائب الذى هو نائب عن الأمة والذى هو أكبر صفة فى الدستور .

وصمت لحظات الا أننى استحثته على الاستطراد بقولى وماذا بعد ؟!

فأجاب بهدوء : لقد ألغى هذا النظام بعد أن تركت الوزارة . ويمكنك ان تقول انه سقط بعدم الاستعمال ولم يسقط أو يلغى بقرار . انما بالتجاهل كما يحدث فى مجال القانون عندما يسقط قانون بعدم الاستعمال . فلو صدر قانون لم يطبق لمدة خمسين عاما فإنه يسقط من تلقاء نفسه .



الفصل الخامس :

الأمين العام .. وقضية الفساد؟؟

- حقيقة عمولات د. مصطفى خليل فى صفقة التليفونات.
- الغيت مشروع سياحى تجارى بعد ماتوليت منصب نائب رئيس الوزراء.
- الرئيس مبارك لديه حاسة للعدالة رغم انه رجل عسكرى.
- الغيت صفقة لابنى لتوريد أخشاب لمصر.

وإذا كانت قضية الفساد . قضية حاكمه ومؤثرة في أى مجتمع .
فإن الفساد هو ناموسة انهيار الإنسان فرداً أو جماعة أو دولة . أو هى
حشرة سوسة تنخر فى أى كيان حتى تهدمه .

ولذلك فإن فكرى مكرم عبيد يؤمن بأن ماجرى لأخيه الأكبر بدءاً
من تفتيت علاقته بالنحاس باشا صديق عمره وزميل كفاحه مروراً
بفصله من الحزب وطرده من البرلمان إلى اعتقاله . فأن سبب هذا كله
هو الفساد الذى بدأ ينخر فى الحزب من البعض والذين ارادوا اساءة
استغلال النفوذ والسلطة . ولذلك فإن قضية الفساد لدى فكرى مكرم
عبيد قضية حساسه وحاسمه فى مبادئه وممارساته السياسية حزبية
كانت أم برلمانية . فهو يمقت الفساد بل يبتعد نهائياً عن أى شبهة يمكن
ان تلقي عليه أى ظل من الفساد .

وقد لوحظ عندما تولى منصب أمين عام الحزب الوطنى . أنه قد
طرق هذه القضية بشجاعة وعلى رأى الرأى العام . ففي مؤتمر شعبى
بمدينة طنطا فى شهر نوفمبر عام ١٩٧٨ وكان قد تقلد منصب نائب
رئيس الوزراء فى حكومة الدكتور مصطفى خليل فقد صاح تحدث
محذراً من الفساد فقال : ان الرشوة كانت قد انتشرت إلى درجة انها
كانت محل تندر فى الصحف . وان حكومة الحزب لم تنهون مع

منحرف كبيراً كان أم صغيراً وأنها بمجرد أن أذيع اتهام لأحد كبار المسؤولين بالحصول على رشوة أحيل الأمر إلى النيابة وإلى المدعى العام الاشتراكي وسيطبق هذا على كل المنحرفين.

واستدرك بقوله: اننا في مواقعنا يجب ان نكون رقباء لن نسمح بحالة انحراف واحدة وان يتقدم فوراً إلى الحزب كل من يتأكد من وجود انحراف أو رشوة مدعماً بالمستندات.

وفي يوم ليلة رأس السنة من نفس العام وفي افتتاح مؤتمر سلوك العاملين بالجهاز الحكومي أضاف قائلاً: ان الظواهر السلوكية السلبية التي تفشت في الدولة والقطاع العام تؤثر على مجتمعنا كمجتمع منتج في وقت نحن أحوج ما نكون فيه لزيادة الانتاج وتحقيق أهداف التنمية.

هذا وإذا كان هذا موقفه في موقعه كنائب رئيس وزراء فماذا عن موقف رئيس الوزراء حينذاك الدكتور مصطفى خليل فإن الأخير فور حلف اليمين لرئاسة الوزراء في الرابع من أكتوبر عام ١٩٧٨ صرح قائلاً: اننى أرفض رفضاً كاملاً أى نوع من التقصير والأهمال وأى نوع من الفساد. فالخطأ يمكن قبوله أما الانحراف والفساد فانني أرفضهما رفضاً كاملاً لأنه لامحسوبة ولا أى نوع من أنواع المجاملة في مثل هذه الأمور. ان ثقة الناس تأتى من القدوة التي نعطيها وإذا لم تكن على مستوى المسؤولية فلا نستحق المناصب التي نتولاها.

وقد طرحت على فكرى مكرم عبيد هذه التصريحات السابقة وقد

بدأت بتساؤلاتى من الآخر . حول تصريح د. مصطفى خليل . قلت له :

فى الوقت الذى كان قد تولى فيه الدكتور مصطفى خليل رئاسة الحكومة فانه كان يتقاضى أجرا أو مكافأة شهرية من البنك الذى كان يرأسه قبل توليه المنصب الوزارى . وكان قد تقدم كل من المرحومين المستشار ممتاز نصار والدكتور محمود القاضى بسؤالين فى مجلس الشعب حول عدم دستورية ذلك . وان كان هذين السؤالين لم يدرجا بأى جدل فى جلساته الا أن هذا الأمر كان يتردد بين الأعضاء . قد نوه عن ذلك أحد كبار الكتاب فيما بعد فماذا تعرف عن هذا الأمر ورأيك فيه ؟!

أطرق برأسه لحظات . ثم أجاب بروية وقال : اننى لن أناقش صحة هذه المعلومة . لأننى لا أظن ان الدكتور مصطفى خليل كان يتقاضى أجر أو مكافأة من البنك الذى كان يتولى رئاسته قبل توليه منصب رئيس الوزراء . الا أننى أذكر ان كل من تولى منصب وزير قد تخلى عن مهنته أو وظيفته واننى قد طلبت من الأستاذ أحمد خيرى السعيد نائب وزير الخارجية السابق بأن يتولى عنى تصفية القضايا المعلقة فى مكتبى وان يدفع مرتبات الموظفين لأنهم أمانة فى عنقى ولديهم مسؤوليات عائلية وما يتبقى فليأخذه أجر عمله .

ويضيف بقوله : وقد ألغيت مشروعا سياحيا كنت قد بدأت فيه . حيث أملك وزوجتى قطعة أرض فى جزيرة الذهب بوسط النيل مساحتها احدى عشرة فدان . وكنت قد أعددت دراسة جدوى

اقتصادية لاقامة هذا المشروع وقد استعنت بخبراء أمريكيان ومن سويسرا في ذلك. وحصلت على تصريح من هيئة الاستثمار في عام ١٩٧٤ كذلك حصلت على تصريح من وزارة السياحة حيث كان المشروع عبارة عن فندق يحاط به مجموعة فيلات صغيرة. كما حصلت على تصريح من وزارة الري وكذلك من وزارة الزراعة وأخيرا من محافظة الجيزة.

وعندما توليت منصب نائب رئيس الوزراء في أكتوبر عام ١٩٧٨ اتصلت على الفور بالمهندس أحمد عبدالأخر محافظ الجيزة حينذاك وطلبت منه اعتبار هذا المشروع كأن لم يكن فاندعش وانزعج الرجل وحضر لمقابلتي يسألني عن السبب وخاصة ان هذا المشروع تجاريا فأجبتة وكيف أكون وزيرا وأجرى عملية تجارية. فاما ان أختار هذا أو تلك فأجابني بأن المشروع قد بدأت به سنوات قبل هذا المنصب الوزاري وكيف وقد أنفقت آلاف الجنيهات في الاعداد والدراسة فقلت له:

أبعث لي بخطاب فحواه ان التصريح الذي منحتني اياه يعتبر كأن لم يكن.

وصمت لحظة ثم نظر لي باصرار قائلا: ولا يمكن اطلاقا ان نقول ان د. مصطفى خليل حصل على هذا الأجر أو تلك المكافأة- الا إذا ثبت عكس ذلك. في تلك الحالة اعتقد انه يكون مخطئا. ولكنني اعتقد أيضا انه أعقل من أن يفعل ذلك.

ولكنني عدت متسائلا: أتذكر ما كتبه الدكتور محمد حلمي مراد

فى جريدة حزب العمل من تقاضى الدكتور مصطفى خليل عمولة قدرها خمسة مليون جنيه من كونسرتيوم التليفونات وذلك قبيل توليه منصب رئيس الوزراء وتقد استند فى ذلك إلى ما كتبه احدى الصحف الغربية وهى ذات الصحيفة التى استند اليها د. مصطفى خليل فى اتهامه للمهندس أحمد سلطان نائب رئيس الوزراء للكهرباء والطاقة السابق بتقاضيه رشوة. إنه قد أحاله إلى النيابة العامة فانه لم يحيل د. حلمى مراد إلى النيابة العامة وكان قد هدد وأنذر بذلك.. . وقد طلب من مجلس الشعب تكوين لجنة تحقيق. والتى أبرأت ذمته إلا هذا التحقيق يعتبر تحقيقا سياسيا فما رأيك وقولك فى هذا وذاك؟! .

اتسعت عيناه أكثر وهو ينظر لى بامعان وجاءت نبرة صوته حاسمه وقال: أذكر كل هذا. وانى ليس فى مجال توجيه اتهام لشخص أو تبرئته. والوقائع ليست حاضره فى ذهنى انما أذكر تماما اعتذارى عن التحدث فى هذا الأمر بمجلس الشعب كمندوب عن الحكومة وان كانت تلك مهمتى حينذاك. وتركت الأمر للوزراء الفنيين الذين يقدر الأمر ويناقشوه بفهم للوقائع. ولأننى لا أملك تأييد أو نفي أو معارضة حيث علمت بالأمر من الصحف ولكننى أثق فى حسن تقدير محمد عبدالحميد رضوان الذى كان يرأس لجنة التحقيق البرلمانية. وقد أبرأ ذمة د. مصطفى خليل. لعلك ترجع إلى هذا التقرير لترى وتكشف عن ذلك بنفسك. أردت الابتعاد عن هذا الأمر. وان كان ليس ابتعادا كبيرا. وتحدثت أذكره بتصريح أدلى به فى أول اجتماع

للحزب عقد بالقاهرة فى أواخر شهر سبتمبر عام ١٩٧٨ قبل توليه منصب نائب رئيس الوزراء وكان قد صرح قائلا: يخطئ من ينضم للحزب لتحقيق منفعة خاصة. وسألته وماذا عن واقع الحال وتحقيق هذا المبدأ الذى أعلنه؟ فأجاب فى نبرة صوته شئ من الأسى وقال: لعلنى كنت مثاليا فى هذا التصريح. لأنه كان منتهى أملنى ان نكون حزب بعيدا عن المصلحة الذاتية. انما واقع الأمر ان لمصالح الناس قيمة. فالرجل العادى يذهب لمن! اما أنه يشكو لجهة الادارة اذا ما وقع عليه ظلم واما ان يشكو إلى ممثله الطبيعى وهو النائب البرلمانى فى هذه الحالة الأخيرة فإن النائب يرفعها اما بالطريقة الادارى أو الطريق التشريعى. والطريق الثانى يستغرق وقتا طويلا.

واستدرك بقوله: ألا أنه اذا كانت فكرتك عن انضمامك للحزب لمجرد تحقيق منفعة ذاتية فهذا شئ مرفوض. بل لابد ان تكون مجردا عن مصالحك الذاتية. ولا يمكن ان يكون انضمامى للحزب لأحقق انتقاما أو أذى إلى جارى. أو الحصول على منفعة بغير حق. اما إذا كانت منفعة بحق فلا ضرر منها ولا جناح عليها. وكنت أدعوك دائما بالابتعاد عن المصالح الذاتية وخاصة المصالح الذاتية التى تضر بالناس لاتنفعها ومثال ذلك لو جاء لى نائب يطلب حفر ترعة أو مدسكة حديد أو انشاء كوبرى فهذه مصالح نافعه للناس، واما اذا جاء لى نائب يسعى لالحاق قريب او ابن بكلية الشرطة ولا تتوافر فيه الشروط المطلوبة أو المناسبة فهذه منفعة مرفوضة أو يسعى أحدهم لتوظيف آخر فى وظيفة ليس مؤهلا لها فهذا مرفوض أيضا ومثل هذه

المصالح الذاتية مرفوضة واما المصالح الذاتية المشروعة فلا ضرر منها اطلاقا.

ثم عدت أتساءل عما تنشره صحف المعارضة من قبل وحاليا عن انحرافات لبعض كبار المسؤولين أو الوزراء وليس هناك ردود فعل من جانب الحكومة فما تفسرك لذلك.

فقال على الفور: اننا تابعنا ماتنشره صحافة المعارضة منذ حكم الرئيس السادات الذى وضع مبادئ عامة فى هذا الأمر. وهو ان النقد البناء الذى يقصد الخير نرحب به واما اذا كان يقصد به التشهير فلا نعيه التفاتا فلو اتهمت احدى الصحف أ أحد الكتاب وزيرا بالانحراف أو الفساد فعليه ان يقدم دليلا. ولا يجب ان يكون الاتهام كلا ما مرسلا. ودون سند أو دليل فهذا مرفوض وغير مقبول. أعتقد ان الرئيس مبارك يؤمن بذلك تماما. أنه يريد الدليل أو السند على صحة اتهام أى مسئول كبير. بل انى لاحظت من سماته الشخصية ان لديه حاسة العدالة وصبر طويل وقلب مفتوح وعقل واعى.

وأما حاسة العدالة لدى الرئيس مبارك فقد لاحظتها فى احدى اجتماعات المكتب السياسى عندما تكون الحزب وكان نائبا لرئيس الحزب وكنا بصدد تعيين الأمناء المساعدين فى الأمانة العامة للحزب قد عرض احدى الأسماء لترشيحه. الا أنني تحفظت عليه فسألني عن الأسباب. فقلت له: أنه يقال عنه كذا وكذا وكذا فسألني مرة أخرى هل لديك دليل؟ فقلت له: ليس عندي دليل وإنما نحن رجال سياسة يحسن ان تبعد عن مواطن الشبهات. الا أنه فضل عدم ظلم هذا

الرجل لمجرد الأقاويل . وأجاب : لا يؤخذ بها . وقد تولى هذا الشخص فيما بعد منصبا وزاريا .

وعلق فكرى مكرم عبيد على هذا بقوله : والغريب ان حاسة العدالة موقدة لديه وهو ضابط سابق . فالمفروض انها ليست متوقدة كذلك ألا عند رجال القضاء والقانون .

ثم عدت أقول له متساءلا : ولكن هل يظلم أهل وأقارب أى مسئول كبير لمجرد انتماءهم اليه ويكون لهم حقوق أو مستحقات ! .

فقال : هناك خلاف بين فلسفتين متعارضتين فى هذا الصدد . فهل تظلم أقارب الوزراء لكونهم أقاربهم ؟ أما لانظلمهم . رأى فى ذلك أننى أفضل ظلم أخويا أو ابنى بدلا من ان أكون - ليس وحدى - ويكونوا أيضا موضع شبهة من رأى العام . وربما تكون نظرتى فى ذلك ضيقة وأفضل ظلم أقرب أهلى بدلا من المساس بمشاعر جماهير الشعب أو الحزب الذى انتمى إليه .

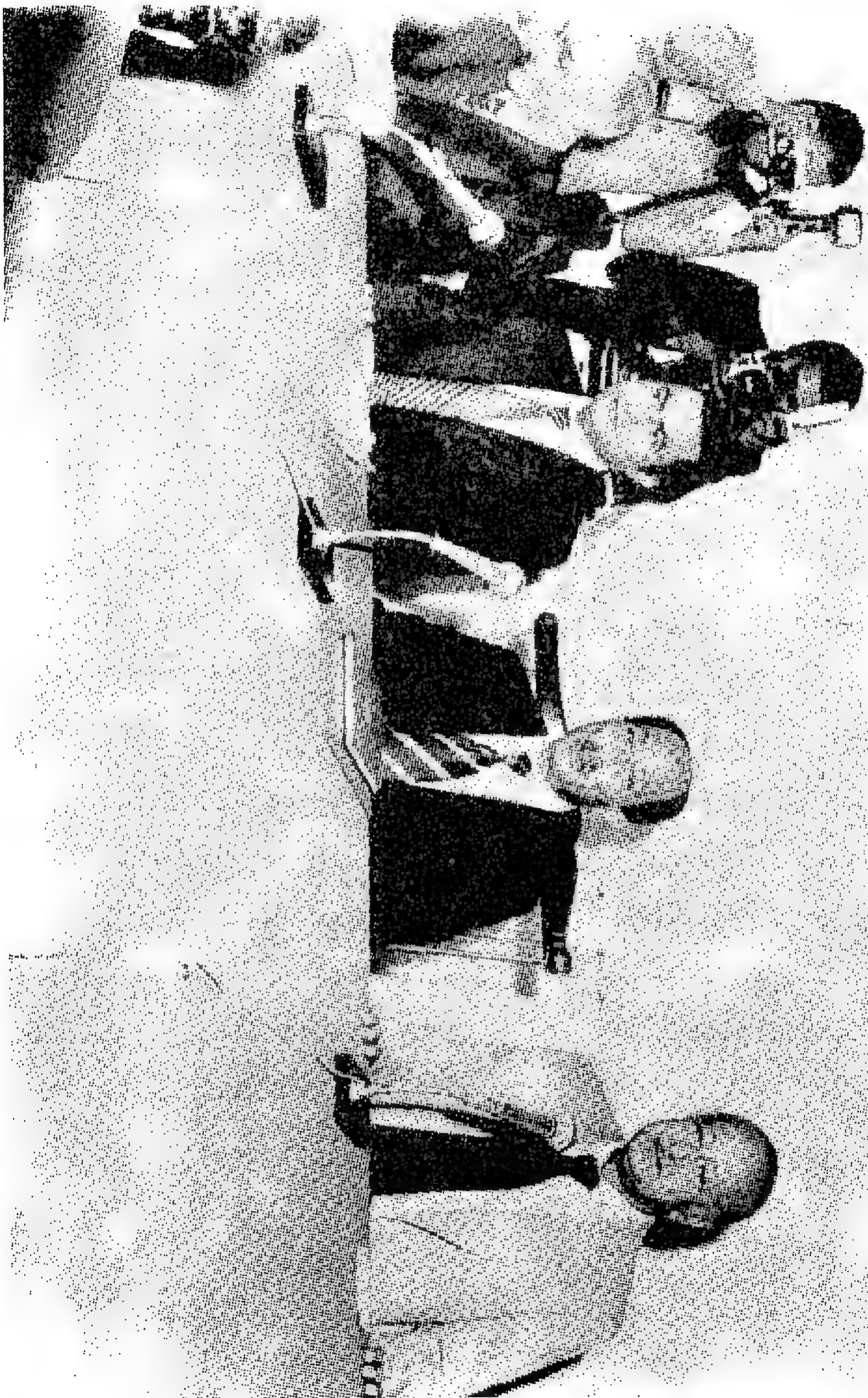
وقاطعته قائلا : وهل طبقت نظرتك هذه على أحد أقاربك عندما كنت نائب لرئيس الوزراء ! .

فأجاب متأثرا وبصوت خفيض وقال : كان ابنى عاطف مهاجر إلى كندا يعمل موردا للأخشاب قبل تولى منصبى الوزاري بأربع سنوات . ومتزوج ومستقر هناك . الا أننى عندما توليت المنصب فقد جاء لزيارة مصر . ولكننى سألته هل هناك مصلحة بالتحديد قد حضرت من أجلها ؟ فأجابنى بأن لديه مناقصة فى الغد بقناة السويس . لأننى

سأورد اليها خشب. فسألته متى كانت هذه المناقصة. فرد بأنها منذ فترة. فقلت له: انسى نهائيا التعامل مع أى جهة حكومية طوال وجودى فى منصبى الوزارى. ولتحمل شنطك وتعد إلى كندا. فاندesh ابنى وقال: اننى سأقدم أحسن أسعار من غيرى. لكننى قلت له: والله لو قدمت أحسن أسعار مليون مرة. فهل تحبنى. فأجابنى ابنى: طبعاً. فما الذى تأمر به. فقلت له: لتحمل شنطتك وترجع إلى كندا ولتعمل فى أى مجال آخر بعيدا عن التعامل مع أى جهة حكومية. فقال لى: اننى اتعامل مع مؤسسة الأخشاب والسكك الحديدية فأورد اليهم الأخشاب وأحصل على عمولتى. وهذا جارى منذ أربع سنوات. فعدت أقول له: انسى اللى فات. طالما اننى فى الحكم فلن تتعامل مع أى جهة حتى لو كنت أفضل المتعاملين لأنك ستكون موضع ظلم لأننى فى الحكم.

وبالفعل ذهب فى اليوم التالى للاسماعية وسحب أوراق اشتراكه فى المناقصة وعاد إلى كندا. ومن يومها لم يعمل فى الخشب. فقد تشددت عليه والدموع تملأ عينى وقد كانت زوجتى تؤازرنى فى رأى وموقفى وقد حرمت عليه الكسب فى بلده رغم انه كان فى كندا لبناء مستقبله. كنت أشعر بأننى منعت عنه خير قد ظلمته انما كان ذلك مبدأ وموقف اعتقده حتى الآن.

ثم أضاف بقوله: والفساد موجود فى كل العالم. لأن هناك طبيعة بشرية بها الخير الشر. ومن يقل بغير هذا فانه كمن ينكر الشمس وهى ساطعه ولكن المسألة كيف تحجم الفساد وتحاصره فى أضيق الحدود.



الفصل السادس :

شخصيات حول الرئيس السادات

- كان للعاطفة تأثير كبير على قرارات الرئيس السادات.

- السادات يعترف بالخطأ بشجاعة

- سيد مرعى ترك لأنصاره العنان فى تمجيد.

- عثمان أحمد عثمان فى غنى عن استغلال السادات.

- د. فؤاد محى الدين يغار من د. يوسف والى

- أسرار الخلاف بين فؤاد محى الدين ود. صوفى أبو طالب

- دفع النبوى إسماعيل السادات ضد المعارضة

وفى حديثى مع فكرى مكرم عبيد. فقد تناول ضمن ما تناول بعض الشخصيات السياسية وبعضها من المسئولين الذين قد عمل معهم فى الدائرة المقربة أو المحيطة بالرئيسين السادات ومبارك. وقد رأينا أن نفرد فصلاً خاصاً بها حيث أنها جاءت متباعدة ومتناثرة فى الحديث. ولذلك فإن جمعها فى فصل واحد ربما يفيد فى التركيز وتسلط الضوء عليها حتى لا تفلت منا إحداها.

ولكننى رأيت من جانب آخر البدء ببعض التساؤلات حول شخصية الرئيس السادات نفسه. وكانت أولى تساؤلاتى حول إمكانية أن يكون للرئيس معاونين أو مستشارين يدفعوه للخطأ السياسى.

ولكنه بادر بالاجابة على الفور ينفى ذلك بقوله: أبدا. فالرؤساء الذين عرفناهم وعشنا معهم كالرئيس عبدالناصر والرئيس السادات حسنى مبارك فلديهم من قوة الشخصية ما يحصنهم ضد هذا. وإنما الأمر المأخوذ على عبدالناصر أنه ديكتاتور وهذا الأخير - بطبيعته - لا يستمع لأحد. بل أن الديكتاتور فى وقت من الأوقات يتصور أنه مبعوث العناية الإلهية وأنه غير قابل للخطأ وهذا هو السر فى أن كل من هتلر وموسولبنى وأتاتورك وغيرهم كانوا مآلهم إلى دمار أنفسهم وتدمير بلادهم لأن كل منهم يتصور أنه لا يخطئ ويرى أن لديه رسالة سماوية لقيادة هذا البلد أو ذاك.

وأضاف قائلا: ولا السادات ولا مبارك من الشخصيات الضعيفة التي يمكن أن يؤثر عليها بغير ما تريد أو ما يسعى إليه. وأن كانت الحالة الوحيدة التي وقع فيها السادات تحت تأثير الغير هي حوادث ٥ سبتمبر حيث ضخمت أمامه ملابساتها دفعة واحدة. تحتد دعاوى البلد حاتروح والبلد حاتنفجر إلى آخره.

وسأله هل كانت العاطفة لها اعتبار في قرارات الرئيس السادات؟؟ أجاب بقوله: كانت قراراته مزيج جمع بين العقلانية والعاطفة وللأخيرة تأثير كبير. إنما لا يتخذ قرارا إلا بعد تمحيصه مع نفسه أو مع الآخرين ولكنه في النهاية يركن لرأيه الشخصي. وإنما أيضا كانت لديه الشجاعة والقدرة على الاعتراف بالخطأ. وربما كان قرار الغاء لقرارات الحكومة في يناير ١٩٧٧ من قبيل هذا.

ثم أشار إلى مثال آخر يروى قائلا: كنا في اجتماع المكتب السياسي مع الرئيس السادات في أسوان وعددنا يصل إلى أربعة عشرة عضوا. وقد عرض علينا مسألة توصيل مياه النيل إلى صحراء النقب. وكانت الأغلبية من الحاضرين تتجه برأيها إلى الموافقة. إلى أن جاء دور الدكتور مصطفى خليل في الحديث وقد اعترض لأن هناك معاهدة دولية لتسع دول هي - دول حوض نهر النيل وهذه المعاهدة تحدد حصص كل دولة أو نصيبها من مياه النهر. وأشار مصطفى خليل إلى أن هناك أحد أمرين فأما سنأخذ من حصص الآخرين وهذا لا نملكه طبقا للمعاهدة وإما أننا سنأخذ من حصة مصر أو نصيبها وهذا أيضا لا يفيد لأن مصر بحاجة إلى كل حصتها. ثم جاء دوري

فى الحديث وقد عارضت اقتراح الرئيس السادات أيضا بقولى : إتنى
يا ريس ليس رجل فنى ولا أفهم فى اتفاقيات النيل إنما لو نفذ هذا
المشروع فلن يكون هناك صدى إيجابى من الشعب يؤيدك فيما ذهبت
إليه . وسنفقد الكثير ولن نكسب غير القليل .

فصمت الرئيس السادات قليلا ثم أخذ الأصوات ولم يعترض
غيرى والدكتور مصطفى خليل . فعقب بقوله : طبعا أنتم عارفين أن
من يخرج عن الإجماع كما وقع من أئتونى ناتج الوزير البريطانى
عندما اعترض على العدوان الثلاثى فقد قدم استقالته .

شعرت ومصطفى خليل أن الرئيس السادات يلمح لنا بالاستقالة .
فقلت له : نحن تحت أمرك يا ريس . فإذا كان على الاستقالة فنحن لا
نمانع . فرد بقوله : ومين قالك إننا نقبلها . أن هذا قرار سياسى .

ويستطرد محدثى قائلا : وبعد أسبوعين وفى اجتماع لاحق
لمجموعة سياسية قليلة ومنهم منصور حسن ومحمد عبدالحميد
رضوان وكان الاجتماع مع الرئيس السادات فى النادى السياسى
بعابدين وقد بادرنا الرئيس فى الحديث عن اقتراحه السابق وقال : لقد
فكرت كثيرا فى هذا المشروع . وقد رأيت أن أضراره أكثر من فوائده .
ولهذا فأنا عدلت عنه .

ويعقب فكرى مكرم عبيد على ذلك وبعد هذه السنوات بقوله :
وكما ترى فإن لهذا دلالة على أنه فكر فى الأمر ودار بذهنه على كل
الصور ورأى وجه الحق أو الصواب فاتخذ قراره . ولم يستحى أن

يعترف أنه قد أخطىء فى التقدير فى بداية الأمر . ومن هنا فائدة الشورى ودلالة على أن الديمقراطية متأصلة فى أعماقه . ويؤمن بالشورى كما وردت بالإسلام بمعنى «أن أمرهم شورى بينهم فإذا عزمتم فتوكل على الله» . ويعنى أنك تستمع للشورى والأراء ثم تتخذ قرارات والشورى بهذا المعنى غير ملزمة . إنما يرجع ذلك للحاكم أو الرئيس .

وعند هذا الحد من الحديث . يمكننى طرح الشخصيات السياسية التى كانت تحيط بالرئيس السادات وتعامل معها فكرى مكرم عبيد عن قرب وماذا يكون انطباعه عن كل منهم .

ولنبداً بالشخصيات التى صاهرت الرئيس السادات فى أبناءه وأولهم المهندس سيد مرعى . فماذا عنه؟

يقول فكرى مكرم عبيد عنه : كان زميل دراسة معنا والرئيس السادات . وصديق وصهره إلا أنه قد أخطأ فى أنه ترك لأنصاره العنان فى تمجيده ولم يوقفهم عن ذلك . وقد التقيت به فى مكتبه ونصحتة : بأن يخفف أو يوقف أنصاره من مظاهر تمجيده . إلا أنه أجابنى بأنه ليس وراء ذلك وإنما أنصاره يتحمسون له . ثم فوجئت بمظاهرة تأييد من بعض الأعضاء معارضين ومؤيدين وصياح بأنهم لا يرضوا بغيره رئيسا لمجلس الشعب وكذلك شارك الموظفين فى ذلك . وقد أغضب هذا الرئيس السادات . قعدت لسيد مرعى أعاتبه على تلك المظاهرات فقال لى : أنه فوجئ بها أيضا . إلا أننى أعتقد أنها دبرت ضده لأن مدبريها يعرفون رد فعلها السلبى عند الرئيس السادات .

وأما عن عثمان أحمد عثمان فأشار إلى أنه رجل طيب وخير .
وأنه ثرى جدا من عمله بالمقاولات فى السعودية والكويت وشركة
المقاولات . ويصل ثراه إلى أنه من بين مائة ثرى فى العالم كما جاء
بتقرير أمريكى فى ذلك الصدد . ووجوده بجوار الرئيس السادات خير
ضمان أنه لا يسعى إلى مزيد من الثراء حيث أنه ثريا بالفعل وفى غنى
عن استغلال السادات فى ذلك . وليس طامعا فى أى منصب وزارى .
إنما كل ما يحرص عليه فقط صداقة السادات وأنه يبقى نائبا عن
الاسماعيلية باعتبار حبه الشديد وانتماءه الكبير لها . فهو رجل فاضل
وهذه حقيقة .

وقد تناول الحديث الدكتور فؤاد محى الدين وهو من الشخصيات
البارزة التى عملت مع الرئيس السادات ومبارك . وفى إحدى
اللقاءات مع الرئيس السادات سأله الأخير عن رأيه فى الدكتور فؤاد
محى الدين فقال شخص جيد وكادر سياسى من الدرجة الأولى إنما
يقال عنه أنه يسارى .

فرد عليه السادات قائلا : أنت خبرتك قليلة . لأن فؤاد محى الدين
لا يحب اليسار ولا يحب اليمين . إنما هو يحب فؤاد محى الدين .

ويضيف فكرى مكرم عبيد بقوله : وعندما تولى نائب رئيس
الوزراء وأمين عام الحزب وعينى على فؤاد ليعمل معى . فقد التقى
بالدكتور أحمد سلامة مستشارى القانونى ود . مصطفى السعيد
وعبدالحليم منصور المدير الإدارى وعبر لهم عن موقفه فقال : أنا
مشى عايز حاجة من أمين عام الحزب والذى تعارفت عليه حديثا

وأحببته إلا أن أكون رئيس المجموعة البرلمانية لمحافظة القليوبية ورئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشعب.. ثم التقيت به وكانت اجابتي له: لك ما تطلبه وما تريده. وقد شكرنى على ذلك واعتبره جميل يحفظه لى.

ثم دار الزمن - كما يقول محدثى - ويصبح فؤاد محى الدين نائب أول لرئيس الوزراء حيث كانت برئاسة الرئيس السادات واحتفظت بمنصب كنائب لرئيس الوزراء. فالتقيت به وبإدارته قائلاً: يا فؤاد أنا عارف أنه قد يحاول البعض أن يوقع بينى وبينك وإننى ليس لى مطمع فى شىء ولن يحدث أننى اعاكسك أو أضايقك إنما أريد منك أن تعدنى بأنك لا تستمع إلى وشاية. فرد بقوله: لك على هذا أو بالنسبة لك. فقلت له: أعدك بهذا أيضاً.

وفى ذات يوم كنا مجتمعين فى لجنة الزراعة بالحزب. وكنت أقوم بإدارة النقاش ومعنا المهندس أحمد عبدالأخر وحضر الدكتور يوسف والى وزير الزراعة. وقد تحدث الوزير عن ضرورة إطلاق حرية الأسعار فيما يختص بالقمح والقطن وأشار بأن الحكومة عندما رأت انخفاض سعر توريد محصول الفول أحجم الكثيرون عن زراعته مما أدى إلى انخفاض الإنتاج واضطربنا للاستيراد. ولما عندما اطلقنا حرية المزارعين فى زراعة الفول فكانت النتيجة إيجابية وقد عاد معظم المزارعين لزراعته مرة أخرى فتضاعف المحصول وبذلك استغنينا عن الاستيراد. وأخذ بهذا فإننى - كما قال الوزير - أرى أنه لابد من تحرير زراعة القطن والقمح. إنما هذا - يمثل خلاف بينى وبين رئيس الوزراء الدكتور فؤاد محى الدين.

ويستدرك فكرى مكرم عبيد بقوله: وبالطبع ما صدر من حديث ليوسف والى لا يمثل أى خطأ أو عيب إنما المسألة وجهة نظر. ولكننى بمجرد انتهاء الاجتماع ووصولى إلى المنزل. فقد فوجئت بالدكتور فؤاد محى الدين يتصل بى تليفونيا ويبادرنى معاتبا. هل يصح إننى اشتتم فى وجودك.

فاندهشت وأجبته: لا أحد يجراً على أن يشتم.

فقال: بلغنى أن الدكتور يوسف والى تعرض لى بغير الخير.

فقلت: له: يا فؤاد لم يحدث ولا أحد يجراً على أن يغتابك فى وجودي. إنما لابد أن تعرف أن هذا الرجل لم يقل أكثر من أنه مختلف مع رئيس الوزراء فى مسألة معينة فهو يرى أنه من المناسب تسعير القطن. والقمح وأنا أرى أنه من المناسب إطلاقهما من كل القيود. لأن ذلك سيترتب عليه تزايد زراعة القطن والقمح وبذلك فإن تسويقهما سيؤتي بعوائد جيدة للدولة.

وهنا توقف محدثى لحظات يرتشف فيها بعضا من الماء ثم يعود معلقا على ما سبق وقال: بالطبع هناك من البعض الذى سعوا للوقيعة بين الوزير ورئيس الوزراء. وتصيدوا ليوسف والى وقلبوا المعنى وقالوا لفؤاد محى الدين أنه - يرى فى سياستك أنها تسبب كساد وركود فى البلد ولكنهم تناسوا أن هذا الخلاف شىء طبيعى. كما أننا فى بيت الحزب وليس فى المجلس مثلاً أو مكان آخر. ولكن هذه المسألة سبب غضبا لفؤاد محى الدين وبقي فى حالة ضيق من

يوسف والى . وفى أكثر من مرة التقى به وأقول له : يا فؤاد لا تفهم ما وصل إليك خطأ فأنت رجل كادر سياسى من الدرجة الأولى ويوسف والى لم يخطئ فى حقك إنما للأسف بقى على ضيقه وغضبه منه .

ويختتم فكرى عبيد تعليقه قائلاً : وأن كان الدكتور يوسف والى أستاذا جامعيا إلا أنه نجح ولعله الاستثناء الذى يؤكد القاعدة . لأنه عايش الجماهير وهو مع المزارعين فى الأرض لأنه فلاح أصيل يشعر بأمالهم واحتياجاتهم وله أرض فى الفيوم يقوم بزراعتها . وكانت رسالة الدكتوراه عن زراعة النخيل فهو فلاح وشعبى وأستاذ وواقعى دائما .

ثم سألته : وحيث كنت نائب رئيس وزراء مع الدكتور فؤاد محى الدين ورغم الاتفاق بينكما على عدم الاستماع لوشاية إلا أن العمل لابد أن يكون قد خلق بعض المشاكل أو سوء الفهم بينكم لاختلافكم فى رأى مثلا فهل حدث مثل ذلك ؟!

أجاب بلهجة لا تخلو من حماس وقال : كنت قد التقيت بالرئيس مبارك وتحدثنا فى مسائل عديدة . وعندما تناولنا نشاط الحزب . فقلت له : رغم حبي لفؤاد محى الدين وتقديرى لكفاءته . إلا أننى أرى أنه مشغول بأشياء وأمور كثيرة لا يمكن لإنسان أن يشغل نفسه بها . فهو رئيس وزراء وأمين الحزب ورئيس لجنة المحافظين ورئيس لجنة الأزهر ولديه إحدى عشرة وظيفة . وعمليا لا يمكن لإنسان أن يمارس عمله بهذه الكثافة وذلك العبء . إنما لابد من تقسيم هذه الأعباء حتى يستطيع أن يركز ويحسن من أداء أعماله . فصدق الرئيس على كلامى

بقوله : لك حق فاتكلم مع فؤاد .

فقلت له : طبعا وهذا أفضل حتى لا يظن أنني أغتابه .

وبالفعل ذهبت على الفور والتقيت بفؤاد محي الدين وذكرت له ما حدث بالأمس في لقاء مع الرئيس مبارك . إلا أنه غضب وقال : يعنى أنا عاجز فقلت له : طبعا لا . . إنما أنت بنى آدم . بشر مثلى ومثل الآخرين . فكيف تقوم بكل هذه الأعمال بلا تفويض فى السلطة . لا بد من التفويض للذين يعملوا معك . فادفع تفويضا للمحافظين حتى يعملوا ولا داعى لتدخلك فى كل كبيرة وصغيرة . ثم انك أمين عام الحزب ولا بد أن تكون عمدة إنما أنت تتعامل بصفتك رئيس وزراء . وقد أغلقت الباب على نفسك . وعندما يسعى أحد أعضاء الحزب ليقابلك فإن سكرتيرك يحدد له موعد بعد أسبوع ولمدة عشر دقائق . وهذا لا يستقيم مع كونك أمين عام الحزب . فالحزب جماهير وليس مناصب ولا مكاتب . فرد بقوله : ماذا أفعل فالمحافظين يلاحقوننى حتى ساعة متأخرة بالليل فى المنزل ويطلبوا منى قرارات فى أمور كثيرة فكيف أفوضهم وهم لا يريدوا اتخاذ القرارات بأنفسهم؟! فقلت له :

لأنك لم تفوضهم السلطة وحرية الحركة فعلا .

إلا أن فؤاد قد غضب . ومن هذا اليوم فقد اختلفنا . وكان ذلك قبيل خروجى من الوزارة بأيام . وقد خرجنا والنبوى إسماعيل والله يرحمه محمد عبدالفتاح نائب رئيس الوزراء للشئون الاقتصادية السابق .

ويعقب محدثي على ذلك بقوله: فالدكتور فؤاد محي الدين يميل إلى تجميع السلطات في يده ليشعر أن الناس تلجأ إليه. وإلى أن توفاه الله كنا أصدقاء. وكان من أبرز الكوادر السياسية ويستطيع أن يجذب الناس عندما يتحدث ولو تفرغ للحزب لحقق نتائج جيدة.

وعند هذا الحد من الحديث سألتها عما كان يدور علنا وتارة خفية من صراع أو خلاف بين الدكتور فؤاد محي الدين والدكتور صوفي أبو طالب رئيس مجلس الشعب..

ولكنه بادرني معقبا وقبل أن يجيب فقال: أنك تضرب على نغمة حساسة ولكنني سأجيب من النهاية أو كما يقال من الآخر. فقد جاءني يوما المستشار حلمي عبدالأخر وزير الدولة لشئون مجلس الشعب وهمس لي بقوله:

إنني أرى أن هناك خلاف بين د. صوفي ود. فؤاد وأرى أنه يمكنك أن تقرب بينهم. لأنه من خلال موقعك الجيد بين الاثنين كصديق لهما وأمين عام الحزب يمكنك أن تصفي هذا الخلاف.

فسألتها عن أول الخطوات في ذلك. فأجابني: ادعهم للعشاء في منزلك.

فقلت له: حسنا. وبالفعل دعوتهم وكذلك زوجاتهم وحلمي عبدالأخر حتى يكون العشاء عائليا بوجود الزوجات. وقد جلسنا كرجال مع بعض واستطلعنا وجه الخلاف. فتكشف لنا أنها مسائل مذهبية. فمثلا الدكتور صوفي أبو طالب لا يعطي لفؤاد محي الدين

حق مركزه فى أثناء الجلسات . فعندما يرفع يده ليتحدث كحكومة وهذا حقه طبقا لللائحة الداخلية لمجلس الشعب فإن المتحدث يتوقف عن الكلام وتمنح الكلمة للحكومة ثم يعود المتحدث للاستمرار فى حديثه . إلا أن الدكتور صوفى كان يتغاضى عن هذه المسألة ويجعل المتحدث ينتهى من حديثه ثم يعطى الكلمة للدكتور فؤاد محى الدين . هذا من الجانب المظهري . ومن جانب آخر تردد أن د . فؤاد محى الدين لم يكن راضيا عن رئاسة د . صوفى لمجلس الشعب وكان يسعى لترشيح غيره ومنهم الدكتور محمد كامل ليلة .

ويضيف فكرى مكرم عبيد بقوله : وإذا عدت لبداية ترشيح الدكتور صوفى أبو طالب لرئاسة مجلس الشعب . وكان ذلك إبان غضب الرئيس السادات من المهندس سيد مرعى عندما كان أنصاره يبالغون فى تمجيده فإننى كنت فى لقاء مع الرئيس السادات بالمعمورة فى الاسكندرية وقد سألنى عن رأى فى الدكتور صوفى فقلت له : أنه رئيس جامعة واستاذ كبير ولديه عدة دراسات وهو يتشرف دائما بأن يقول عن نفسه أنه «خوجه» فلا يعرف إلا تلاميذه وزملاءه من الأساتذة إنما لا يعرف أعضاء المجلس جميعهم . فقال لى الرئيس : البركة فيك .

فالتقيت بالدكتور صوفى أبو طالب وقلت له : عايزك تتعرف بأعضاء مجلس الشعب وتقرب منهم فسألنى مندهشا : ليه أنا صلتى بهم آيه . أنا فى الجامعة فقلت له : معلش خدّها منى نصيحة .

وبالفعل بدأ ذلك . ولكن يبدو أن هذا مضاد لطبيعته فهو أستاذ جامعى من الدرجة الأولى . وباحث ودارس أكاديمى من الدرجة الأولى . إنما ليس له حضور مع الجماهير . وحتى تركه لرئاسة المجلس فإنه لا يعرف جميع أعضاء المجلس ولا أسماءهم . وعندما كان يرفع أحدهم يده ليتحدث أو يطلب الكلمة فإنه يشير إليه بقوله : الأستاذ اللى هناك . . وهذا عكس ما نراه الآن من الدكتور مصطفى كمال حلمى فهو يعرف أعضاء مجلس الشورى عضوا عضوا . ويكاد يقول السيد العضو نائب دائرة كذا . ونحن نرى في البرلمانات بالخارج . أن رئيس المجلس يعرف النائب ودائرتة فرئيس مجلس العموم البريطانى يشير للعضو : النائب المحترم ممثل دائرة كذا لأنه من المفترض أن يكون عارفا اسمه ودائرتة وحزبه أيضا .

إلا أننى استوقفته لحظات وسألته عن اعتراضه المبدئى على رئاسة الدكتور صوفى أبو طالب لرئاسة مجلس الشعب فلماذا اختير الدكتور صبحى عبدالحكيم رئيس مجلس الشورى أمينا عاما للحزب الوطنى بعد وفاة الرئيس السادات؟

أجاب بحماس وعلى الفور قائلا : أن الدكتور صبحى عبدالحكيم من أفضل الناس وهذه صيغة مبالغة فى الفضل . فالرجل فاضل وسليم ونظيف كالبرلنت وعالم ووطنى ودؤب وشغال وعف اللسان وهذه الصفات مجتمعه أهله لأن يكون أمين عام الحزب ضمن أسماء كثيرة طرحت من أجل ذلك . إنما رؤيا أنه أفضلهم . إنما للأسف فإن الأستاذ الجامعى فى برج عال بعيدا عن الجماهير كثيرا . فهو عالم

جليل ودارس ومقنع فى مجال تخصصه الجغرافى والسكانى إلا أنه ليس جماهيريا. إنما عندما يوضع فؤاد محى الدين بين الجماهير فهو قائد جماهيرى. إنما تكلف أيضا فؤاد بدراسة موضوع فلا يستطيع ذلك بصورة جيدة إنما هو سياسى ممتاز والتنفيذى كذلك لأنه كان محمل نفسه بأعباء كثيرة وكما يقول المثل الانجليزى: الذى يتعرض للكثير فلا ينتج إلا القليل.

ثم سأله عن محمد النبوى إسماعيل وزير الداخلية الأسبق والذى كان يعد من الشخصيات الهامة بل وربما المحورية المحيطة بالرئيس السادات والذى تعامل معه ابان وجوده كنائب رئيس وزراء وأمين عام الحزب الوطنى؟

فقال: الحقيقة أن النبوى إسماعيل ضابط بوليس ممتاز ومخلص اخلاص كامل للرئيس السادات. ورجل وطنى وحازم ولعله كان شديدا بعض الشيء فى وقت من الأوقات وكان ذلك مطلوبا. إلا أن الخطأ الذى وقع فيه - وجل من يخطئ - أنه ضخّم الحركة المناوئة للسادات بأكثر مما تستحق. فدفع السادات للتخوف من هذه الحركة بما فيها من معارضة وكان من الممكن - وأنا أنظر للمسألة بعد ١٥ سنة التخفيف من هذه الحركة ومن غلوائها بالأسلوب السياسى كاللقاءات والمنافشات والمشاركة فى رأى وخاصة أعضاء المنظمات الشرعية كالأحزاب والنقابات إنما هو أقنع الرئيس السادات بأنه لا سبيل للتعاهم معهم إطلاقا. وبذلك كان الخطأ فى علاج حركة المعارضة وهو فى هذا حسن النية ويقصد خير إنما النتيجة لم تكن كذلك حيث

وقعت اعتقالات ٥ سبتمبر واعتقل ألف وخمسمائة من مختلف
المشارب والاتجاهات. وتألب الرأى العام ضد السادات ثم وصل الأمر
إلى اغتياله فى ٦ أكتوبر. وإما لماذا كان يضحخ المسائل عند السادات
فلأنه يسعى لأن يكون صاحب فضل عليه. فهو يضحخ الأمر ثم
يقوم بمحاصرته وبذلك يكون له فضل على السادات. وإذا كان كما
ردد البعض أنه يسعى لرئاسة الوزارة. فإن الدكتور فؤاد محى الدين
حينذاك يتربص لهذا ويباعد بينه وبين تحقيق ذلك. كما أن الأمر
كذلك مضاد لتفكير السادات فى تلك الأونة.

وأخيرا عندما أعلن تشكيل الحزب الوطنى كحزب أغلبية جديدة.
فإن حزب الأغلبية السابق عليه وهو حزب مصر قد تمسك ببقاءه ما
يقرب من ستة وعشرين عضوا تزعمهم المهندس عبدالعظيم أبو العطا
وزير الرى فى ذلك الحين وقد مارس معارضة عنيفة بعض الشئ
للحزب الوطنى فما تفسيرك تمسكه بحزب مصر وزعامته؟!

لحظات من الصمت. وكأنه يتذكر. أو يرتب أفكاره ثم قال
بهدهوء: إننى لا ألوم من تمسك بحزب مصر. فهذا حقهم. إنما
المهندس عبدالعظيم أبو العطا - الله يرحمه - كره الحزب الوطنى
لكراهيته لى. وكنا فى إحدى جلسات مجلس الشعب. وكنت حينئذ
نائب رئيس حزب الأحرار. ودارت مناقشة ساخنة بين رئيس الحزب
صديقى مصطفى كامل مراد وعبدالعظيم أبو العطا بصفته وزيرا
للى. وهذا الأخير هاجم الحزب قائلا: أن حزب الأحرار
الاشتراكيين مثل الأصبع السادس فى اليد. كما قيل فى حزب الكتلة

الوفدية قبل الثورة. وحيث إننى لم أكن طرفا فى هذا النقاش وقد شعرت أنه يتعرض لأخى الكبير ولیم مکرم عبيد الذى كان رئيس لحزب الكتلة الوفدية. فقامت وعقبت على هجومه ووجهت له حديثى قائلا: أرجو أن تعتذر عما بدر منك حول الكتلة الوفدية ورئيسها. الذى لا تعرفه. والذى كان منفيًا فى سيشل وحكم عليه فى قضايا سياسية من أجل نضاله الوطنى. وكان ذلك قبل حضرتك ما تولد ولعلك كنت ولدت إنما ترتدى البنطلون القصير.

وعلى الفور فإن ممدوح سالم رئيس الوزراء وقف وأعلن اعتذاره عن هذا الخطأ غير المقصود وأن جميع المصريين يجلون ولیم مکرم عبيد باعتباره مناضل وطنى. . ومن هنا اخترق ممدوح سالم قلبى وحصل على مساحة عاطفية ليست قليلة.

هذا وكان المرحوم عبدالعظيم أبو العطا فى حالة غضب لأن الرئيس السادات لم يوليّه منصبا حزبيا فى الحزب الجديد ومن هنا تزعم المجموعة التى تمسكت بحزب مصر.

ومارس معارضة دفعت به أن يكون ضمن المعتقلين فى ٥ سبتمبر عام ١٩٨١ وكان أحد رجال الرئيس السادات من قبل إلا أنه انقلب ضده لأنه لم يحصل على ما سعى إليه من منصب فى الحزب وقد خرج من الحكومة أيضا.

وأخيرا سألته عن أسباب تنحيته عن منصب أمين عام الحزب ليكون أمين اللجنة الدائمة أو المجلس الدائم للحزب الوطنى وتولى

الرئيس مبارك حينذاك منصب أمين عام الحزب وكان نائبا لرئيس الجمهورية .

فقال : رغم اصرار الرئيس السادات على اختيارى أمينا عاما للحزب الوطنى وكانت هناك ثقة ومحبة متبادلة معه . إلا أنه حاول وسعى الكثيرين لزعزعة هذه الثقة وخلق جفوة فى هذه المحبة إلا أنهم لم ينجحوا فى ذلك . وتحت تزايد الضغوط عليه فإنه لم يبعدنى عن الحزب إنما جعلنى رئيس المجلس الدائم للحزب . وفى ذلك همس لى الرئيس مبارك بقوله : أرجو الا تحزن أو شىء من هذا القبيل . لأنك عينت فى موقع يعد ترقيه . وثانيا لأن الذى حل محللك نائب رئيس جمهورية . فلا تحزن .

فقلت له : إننى فى أى موقع أخدم بلدى .

وأضلف محدثى : كان الرئيس مبارك يدرك ويعى تماما الملابسات والظروف ومتفهما كل ذلك إلا أنه ربت على كفى ليؤكد لى ذلك مشجعا ومقدرا لموقفى وموقعى الجديد .

الفصل السابع:

السادات والبطريرك والحقيقة

- تأجيل موعد لقاء السادات والبابا بسبب حضور الشاه لمصر.
- غضب البابا واساء فهم السادات فأمر بالصيام والحداد.
- كانت ٥ سبتمبر اجراءات غير طبيعية لمواجهة ظاهرة غير طبيعية.



وفى أثناء حديثى مع فكرى عبيد. فقد مررنا على أحداث ٥ سبتمبر عام ١٩٨١ التى اعتقل فيها الرئيس السادات مايقرب من ألف وخمسمائة سياسى.

وقد دار حوارنا حول تفسير هذه الأحداث ولماذا أقدم عليها السادات وخاصة ان مقدمات حكمه لاتؤدى إلى هذه النتيجة أو تلك الأحداث ولاسيما بعد انتصارات أكتوبر عام ١٩٧٣ كذلك مبادرة السلام عام ١٩٧٧ قد علق محدثى على ذلك بقوله: ان السادات لم يكن من طبيعته اطلاقا كبت الحريات. يؤمن بالحجة والمنطق. بذلك فهو يكسب معاركه دائما. فإذا كانت فى الجيش فهو رجل عسكرى محنك. وان كانت فى السياسة فهو رجل سياسة من الطراز الأول. وان كانت بين الفلاحين فإنه رجل فلاح. فهو فى أى معركة يرتدى لبسها بدون صعوبة حتى عندما بدأت الحركات المتطرفة نشاطها فقد ارتدى الجلباب وان كان فى هذا فهو مؤمن وإيمانه عميق وقارى ودارس وقد تصور أنه سيكسب المعركة مع التطرف بالأقناع والهدوء. ثم أطرق برأسه لحظات وهو يحرك حبات المسبحة بين أصابعه. ثم رفع رأسه وعلى سماتها شئ من الأسى وقال:

فى الأسابيع الأخيرة قبل وفاته. فقد وصلت إليه تقارير من

جهات مختلفة حول ما تسمى بحكومة الظل بين هذه الجماعات المتطرفة. فقد شكلوا بينهم تنظيمات هرمية وغير هرمية وامراء للجماعات ووزراء ورؤيس وزراء وقد دفعت محتوى هذه التقارير الرئيس السادات إلى الحائط فى ظهره. فاشتد انفعاله وخاصة ان هذه التقارير كانت متواتره وقريبه من بعض فى محتواها. وخشى ان تقوم فتنة سواء كانت فتنة طائفية أو سياسية. حتى عندما وجد بعض المسيحيين متشددين فقد أمر باعتقالهم كالمتشددين من المسلمين وحتى لا يقال انه ضد الحركات الإسلامية وأنه أبعد ما يكن عن هذا. ولذلك اضطر لاستبعاد البطريك الباب شنوده إلى الدير.

ثم صمت لحظات يهز رأسه وكأنه ينعش ذاكرته ثم قال: وافق استبعاد البطريك سبقها سوء حظ. ونبدأ بأول خيط وهو زواج ابنة أخت مطران بنى سويف من شخص مسلم قد أحبته وأشهرت اسلامها. من هنا ظهرت حركتين مضادتين الأولى حركة تدمير بين المسيحيين والثانية حركة سرور بين المسلمين وبظهورهما فقد تولد شئ من التوتر والاحتكاك الذى لم يصل إلى حد العراق بالأيدى. إنما كانت المشاعر مكتومة فى القلوب وهذه حادثة واحدة. وعندما سألتنى أحد الصحفيين. آنذاك علقت بقولى: ان هذه السيدة لن تزيد عدد المسلمين ولن تقلل من عدد المسيحيين. فهذه حالة فردية. كما ننا لسنا قوامين على الناس. فلكل من الناس مايؤمن بما يريد.

الا أن هذه الواقعة أو الحادثة قد تضخمت حيث يلتقى المطارنة مع بعض ويتبادلون الشكوى من أحداث أو وقائع مماثلة كل فى قريته أو

مدينته وان كان من الطبيعى انه ليس هناك أسرة أو عائلة الا ويقع فيها خلاف بين الأشقاء. فهو من طبيعة البشر الا أن تبادل الشكوى ضخم من هذه المسألة وأدى ذلك إلى أن المجمع المقدس احتج على ذلك وقرر اعلان الصيام والحداد فى العيد وعندما وصل الأمر لعلم الرئيس السادات عقب قائلًا: مفيش مايدعو لذلك. وان كانت هذه النتيجة سيئة. ثم طلبنى لمقابله بصفتى أمين عام الحزب ويعرف منذ سنوات طويله انه ليس عندى اتجاهات طائفية ولا أفرق بين مسيحي ومسلم انما أعرف المواطن مصرى وطنى مخلص فقط فما يثبت لى ذلك فأرفعه فوق رأسى واما اذا كان عكس ذلك فأضربه بالفأس. وبادرتنى عند لقاءه وقال: يافكرى وجه دعوة لأعضاء المجمع المقدس لالتقى بهم لتوضيح الأمر وتبديد مخاوفهم. وبالطبع كان البطريك على رأس المدعوين وعددهم خمسة من كبار المطارنة. وكان الموعد يوم أربعاء فى منزل الرئيس بميت أبو الكوم وقبل عيد المسيحين وكان يسمى أربعاء أيوب الا أنه من سوء الحظ أنه تحدد موعد وصول شاه ايران فى ذلك اليوم بعد أن وجهت الدعوة اليهم. وبالتالي اضطر الرئيس السادات الغاء موعد الدعوة وتأجيلها لهذا الظرف الطارئ وكانت عيون العالم كله على مصر فى ذلك اليوم. حيث ان شاه ايران لم يجد دولة تأويه الا مصر. وقد اضطر السادات لتأجيل لقاءهم وهم عرفوا بذلك وظهر استقبال الشاه فى وسائل الإعلام. الا أنهم اساءوا الظرف الطارئ وقالوا: ان السادات يحتقرنا ولا يريد مقابلتنا. ثم أعلن المجمع المقدس الصيام والحداد والامتناع عن الاحتفال بالعيد.

ويستدرك فكرى مكرم عبيد بقوله: وللأسف الشديد عند تأجيل الموعد شعرت أنه ربما يساء فهم موقف الرئيس السادات. فبعثت فى طلب لقاء ثلاثة من أخواننا المسيحيين الذين تربطهم صلة أوعلاقة بالبطريك وهما: حنا ناروز عضو مجلس الشعب وعدلى عبدالشهيـد الوزير السابق ورؤوف شلبى عضو مجلس الشورى الحالى. الا أنه لم يحضر حنا ناروز رغم أنه أقربهم للرئيس السادات فقد زامله خمس سنوات دراسية فى المرحلة الثانوية وكان يستذكر دروسه معه. وفى نفس الوقت كان من كبار مستشارى البطريك. وكان من المفروض تبعا لموقعه من الاثنين الحضور الا أنه لم يلـبى طلبى فى ذلك. اجتمعت مع عدلى عبدالشهيـد ورؤوف شلبى وطلبت منهم ان يبلغوا البطريك بأنه لاداعى لاتخاذ أى اجراءات إلا أنه لم يقتنع وعلق بقوله: لقد نالتنا اهانة واما لقاء شاه ايران فكانت ذريعة لعدم مقابلتنا. وللأسف أعلن الصيام الحداد ومنع المسيحيين من الاحتفال بالعيد رغم انه عيد كبير له قيمة كبرى.

انما كما ترى- للأسف- فإن سوء الحظ هو الذى خلط الأمور بسوء فهم أو سوء ظن. ولذلك اضطر السادات لابعاد البطريك الى الدير فى مقابل اعتقال بعض الزعامات السياسية ومنها زعامات إسلامية. حتى يحقق التوازن ولايتهم بالمحاباة لأحد الطرفين.

ويختتم محدثى روايته بلهجة الأسى والتى بدأ بها حديثه فى هذا الصدد وقال:

وللأسف فإن البطريك حتي كتابة هذه السطور مازال غاضبا مني وفي قناعته انه كان من الممكن منع اجراءات ٥ سبتمبر ولكنه لا يدرك ان هذه الاجراءات اتخذت كقرار على مستوى القيادة السياسية والحزبية ولا يمكن حينذاك منعها. كما أن الرئيس السادات- ليس دفاعا عنه- وبالتحليل أو التفسير الموضوعي فإنه لم يجد مفر من تلك الاجراءات في مواجهة ظاهرة غير طبيعية وغير سليمة. ولا يمكنه الاكتفاء باعتقال المسلمين فقط ويبدو وكأنه يكيل بمكيلين وكذلك بالنسبة للمسيحين يعتقلهم فقط ويبدو أيضا أنه يعمل بمكيال واحد فاضطر لعمل توازن وجمع عنصرى الأمة فى سلة احدة وبذلك منع شرر كبير.

وان كنت من حيث المبدأ أرى ان اجراءات ٥ سبتمبر وقبل الحكم وبعده. ومع ذلك فالأمانة تقتضى أنه حتى لو كانت تلك الاجراءات خطأ. الا أنه إذا كان الأمر لا يعدو اعتقال ألف وخمسمائة من أجل حماية خمسون مليوناً. فلا غرو من هذه التضحية وخاصة أنهم عوملوا في الاعتقال أفضل معاملة. وكان ذلك من أجل مصر ولا بد -أحيانا- من التضحية من أجل أمانها وسلامة شعبها.

وهنا انتهى حوارى أو حديثى مع فكري مكرم عبيد تلك الومضة التاريخية التى كان لابد من الامعان فيما تضيئه لكشف وقائع وأحداث وحقائق تاريخية كان فى بعضها شاهدا حيا وصادقا وبعضها الآخر صانعا بأمانة وصدق.

الفهرس

٥	المقدمة
٩	الفصل الأول: فكرى مكرم عبيد والوفد القديم؟؟
٣١	الفصل الثانى: دور فؤاد سراج الدين فى الوفد القديم.
٥١	الفصل الثالث: فكرى مكرم عبيد وبدايات مشواره السياسى.
٧١	الفصل الرابع: بدايته الحزبية... هجوم على الوزراء.
٩١	الفصل الخامس: الأمين العام... وقضية الفساد؟؟
١٠٣	الفصل السادس: شخصيات حول الرئيس السادات.
١٢١	الفصل السابع: السادات والبطريك والحقيقة.

كتب المؤلف

دراسات سياسية وتاريخية:

١ - لعبة الأمم وعبدالناصر - المكتب المصرى الحديث - يناير ١٩٨٧

٢ - لعبة الأمم والسادات - الزهراء للإعلام العربى - أكتوبر ١٩٨٨

٣ - وزارة ٦ أكتوبر - دار ثابت - يناير ١٩٩٠

٤ - مؤامرة القرن الواحد والعشرين - الزهراء للإعلام العربى - يناير ١٩٩١

٥ - كيف يصنع القرار فى مصر - مدبولى الصغير - أبريل ١٩٩٣

٦ - معركة الحزام الذهبى (معركة البترول) بالإشتراك مع محمد حسن التهامى نائب رئيس الوزراء الأسبق برئاسة الجمهورية - نوفمبر ١٩٩٠

دراسات برلمانية:

- ١ - برلمان الثورة - مدبولي الكبير - جزأين - يناير ١٩٨٤
- ٢ - يهود في برلمان مصر - دار الشعب - ديسمبر ١٩٨٨
- ٣ - الإخوان في البرلمان - المكتب المصري الحديث طبعة مايو ١٩٩٢ - أولى - الدار الإسلامية للنشر والتوزيع طبعة يناير ١٩٩٤ - طبعة ثانية.
- ٤ - برلمان الخمسين في المائة - الزهراء للإعلام العربي - يناير ١٩٩٥ .
- ٥ - المرأة والبرلمان - تحت الطبع.

دراسات أخرى:

- موسيقار من سنياط - دار المعارف - ١٩٨٣
- حوارات : فكري مكرم عبيد وأسرار سياسية - دار الواحة - أكتوبر ١٩٩٥

صور كتاب فكرى مكرم عبيد

١ - فكرى مكرم عبيد فى مكتبه وأثناء الحوار معه وهو يتذكر التاريخ..

وهذه الصورة موقعها فى أول صفحة بعد المقدمة.

٢ - فكرى مكرم عبيد يرحب بالجماهير فى إحدى المؤتمرات الشعبية.

٣ - صورة للرئيس السادات ونائبه حسنى مبارك ورئيس الوزراء الدكتور مصطفى خليل وفكرى مكرم عبيد فى لقاء حزبى.

٤ - صورة لنائب رئيس الجمهورية حسنى مبارك ود. مصطفى خليل رئيس الوزراء وفكرى مكرم عبيد نائب رئيس الوزراء وأمين عام الحزب الوطنى الديمقراطى الحاكم.

٥ - فكرى مكرم عبيد فى لقاء مع شباب الحزب الوطنى الديمقراطى.



هذا الكتاب

رحلة فكري مكرم عبيد من تأسيس اللجنة التنفيذية العليا للطلبة عام ١٩٣٥ إلى دخول دائرة الظل السياسي هي رحلة مثيرة مليئة بالأسرار ولكن الكتاب ليس من أدب الإثارة وإن كان حافلاً بالأسرار المثيرة ، في هذه الرحلة هم نجوم سياسة بعضهم رحل وبعضهم مازال أسمه يلمع في سماء المجتمع ففي هذا الكتاب يلتقي النحاس باشا وفؤاد سراج الدين ، فيه لأول مرة موقف فؤاد سراج الدين من استخدام المال كسبيل للوصول للسلطة وتفاصيل محاكمة انور السادات عام ٤٢ وعلاقة الإخوان بفكري مكرم عبيد ويكشف الكتاب لأول أيضاً الخلاف بين يوسف والي وفؤاد محي الدين والصراع بين البابا والسادات و.....

الهيئة للنشر والتوزيع

٤ ش احمد سوكارنو - العجوزة

ت : ٣٤٦٤٧٣٧ - ٨٦٤١٥١



0645088

الناس